نَظْمُ

عُيُوبِ النَّفْسِ وَأَدْوِيَتِهَا

للشَّيْخ الإمَامِ

أبي العَبَّاسِ أَحْمَدَ زَرُّوقٍ الفَاسِيِّ

(ت٨٩٩هـ)

فرغ منه سنة (٨٨٨هـ)

اعتنى به

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة

تونس

نَظْمُ

عُيُوبِ النَّفْسِ وَأَدْوِيَتِهَا

الكتاب: نَظْمُ عُيُوبِ النَّفْسِ وَأَدْوِيَتِهَا

تأليف : الإمام أحْمَدُ زَرُّوق الفاسي (ت٨٩٩هـ)

اعتنى به: نزار حمادي

الناشر: دار الإمام ابنِ عَرَفة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

نَظْمُ
عُيُوبِ النَّفْسِ وَأَدْوِيَتِهَا

للشَّيْخ الإمَامِ

أبي العَبَّاسِ أَحْمَدَ زَرُّوقٍ الفَاسِيِّ

(ت٨٩٩هـ)

فرغ منه سنة (٨٨٨هـ)

اعتنى به

نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
تونس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١. يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ ٱلْغَفَّارِ أَحْمَدُ نَجْلُ أَحْمَدَ ٱلْحَضَّارِ

٢. ٱلْبُرْنُسِيُّ ٱلْأَصْلِ ثُمَّ ٱلْفَاسِي ٱلْمُشْتَهِرْ زَرُّوقُ بَيْنَ النَّاسِ

٣. ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي قَدْ عَرَّفَا مَعَايِبَ النَّفْسِ لِأَرْبَابِ الصَّفَا

٤. فَٱطَّلَعُوا عَلَى كَمِينِ غَدْرِهَا وَٱنْتَبَهُوا فِي شَأْنِهِمْ لِمَكْرِهَا

٥. وَأَدْرَكُوا مَكَامِنَ ٱلْعُيُوبِ وَٱسْتَعْمَلُوا أَدْوِيَةَ ٱلْمَطْلُوبِ

٦. لِأَجْلِ مَا خُصُّوا مِنَ التَّوْفِيقِ وَالنَّظَرِ السَّدِيدِ وَالتَّدقِيقِ

٧. تَيَسَّرَ ٱلْعَسِيرُ مِنْهَا لَهُمُ وَبَانَ مَا كَانَ لَدَيْهِمْ مُبْهَمُ

٨. فَنَهَجُوا مَنَاهِجَ الطَّرِيقَهْ وَوَرَدُوا مَوَارِدَ ٱلْحَقِيقَهْ

٩. ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى ٱلْمُخْتَارِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ ٱلْأَخْيَارِ

١٠. وَبَعْدُ هَذِهِ فُصُولٌ مُجْمَلَهْ تَهْدِي لِمَا وَرَاءَهَا مُحَصِّلَهْ

١١. مِمَّا أَتَى بِهِ الإِمَامُ السُّلَمِي فَي جُزْئِهِ ٱلْمُحَرَّرِ المُنْتَظِمِ

١٢. قَرَّبْتُهَا بِرَجَزٍ مُفِيدِ لِلْحِفْظِ وَالتَّحْصِيلِ وَالتَّقْيِيدِ

١٣. أَرْجُو ٱلْإِلَهَ أَنْ تَكُونَ نَافِعَهْ مُفِيدَةً لِكُلِّ خَيْرٍ جَامِعَهْ

١٤. دَائِمَةَ النَّفْعِ لِكُلِّ سَارِ مِنْ نَاظِمٍ وَكَاتِبٍ وَقَارِي

١٥. فَهُوَّ حَسْبُنَا تَعَالَى وَكَفَى ثُمَّ صَلَاتُهُ لِخَيْرِ مُصْطَفَى

١٦. مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَابِعِيهِ أَبَدًا فِي حِزْبِهِ

فَصْلٌ

فِيمَا وَرَدَ مِنْ شُؤْمِ النَّفْسِ وَمَا تُورِثُهُ لِصَاحِبِهَا مِنَ العِلَلِ

١٧. وَهَـذَا حِينَ أَبْتَـدِي فِيمَـا أَرَدْتُ وأَفْتَحُ ٱلْمَعْنَى ٱلَّـذِي لَـهُ قَصَـدْتُ

١٨. قَـدَ ٱخْبَرَ ٱللَّـهُ بِشُـؤْمِ النَّفْسِ وَمَـا لَـهَـا مِـنْ عِـلَّـةٍ وَلَـبْـسِ

١٩. فِي يُوسُـفٍ[١] وَغَيْرِهَا كَٱلْجَاثِيَهْ[٢] وَالنَّـازِعَـاتِ[٣] فِيهَـا آيٌ[٤] نَـاهِيَـهْ

٢٠. عَنِ ٱتِّبَـاعِنَـا ٱلْهَوَى وَالنَّفْسِ وَتَرْكِ مُوجَـبِ الرِّضَـا وَاللَّبْسِ

٢١. وَفِي حَدِيثِ ٱلْمُصْـطَفَى المُعَظَّمِ ثَـلَاثَـةٌ فِـي طَـيِّ طِـيـنِ آدَمِ

٢٢. وَهْيَ ٱلْبَلَاءُ وَٱلْهَوَى وَالشَّـهْوَهْ[٥] فَلْـتَـعْـتَصِـمْ بِـرَبِّـنَـا ذِي ٱلْـقُـوَّهْ

٢٣. عَلَى ٱصْـطِبَارٍ وَٱدِّكَـارٍ وَجِهَـادْ لِـكَـيْ تَـنَـلْ بِـذَاكَ غَـايَـةَ ٱلْـمُـرَادْ

٢٤. مُشَـمِّرًا فِي ٱلْبَحْثِ عَنْ عُيُوبِكَا وَهَـارِبًـا لِـلَّـهِ مِـنْ ذُنُـوبِـكَـا

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[يوسف: ٣٥].

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[الجاثية: ١٨].

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[النزعات: ٤٠].

(٤) خ: فَاعْلَمْ أيَّ.

(٥) يشير إلى ما رواه السُّلَمي في «عيوب النفس» قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَمْرٍو قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الجَبَّارِ بْنُ شِيرَازَ، قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ أَبَان، قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِم، قَالَ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ وَسُفْيَانُ عَنْ سَلَمَةَ ٱبْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**البَلَاءُ وَالهَوَى وَالشَّهْوَةُ مَعْجُونَةٌ بِطِينَةِ بَنِي آدَمَ**». اهـ. أخرجه ابن عديّ في الكامل في الضعفاء وقال: وهذا حديث باطلٌ بهذا الإسنادِ. (ج١/ص٣٢٥) وأحمد بن الحسن بن أبان المضري الأبُلِّي. من كبار شيوخ الطبراني. قال الدارقطني: كَذَّاب. راجع الضعفاء لابن عدي (ج١/ص٢٠٠) والعلل المتناهية (ج٢/ص٢٨٩)

٢٥. فَلَيْسَ لِلْعَبْـدِ سِـــوَى مَوْلَاهُ فَـهْـوَ ٱلَّـذِي يُـعْـطِـيـهِ مَـا يَـهْـوَاهُ

فَصْلٌ

فِي تَوَهُّمِ النَّفْسِ النَّجَاةَ مِنَ العُقُوبَةِ بِمُجَرَّدِ الأَذْكَارِ وَالطَّاعَاتِ مَعَ الإِقَامَةِ عَلَى العُيُوبِ وَالإِصْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ

٢٦. **مِنْ عَيْبِهَا** تَوَهُّمُ النَّجَاةِ بِٱلْأَخْذِ فِي ٱلْأَذْكَارِ وَالطَّاعَاتِ
٢٧. مَعْ أَنَّهَا مُقِيمَةٌ بِعَيْبِهَا مُصِرَّةٌ عَلَى عَظِيمِ ذَنْبِهَا
٢٨. وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِأَصْلِ الدِّينِ وَمُوجِبَاتِ ٱلْفَتْحِ وَالتَّمْكِينِ
٢٩. لِصَالِحِ ٱلْمُرِّيِّ[1] قَوْلٌ أَصَّلَهْ مَنْ أَدْمَنَ ٱلْقَرْعَ فَيُرْجَي ٱلْفَتْحُ لَهْ
٣٠. قَالَتْ لَهُ رَابِعَةُ ٱلْعَدْوِيَّهْ كَلِمَةً صَحِيحَةً قَوِيَّهْ
٣١. ٱلْبَابُ مَفْتُوحٌ وَأَنْتَ تَهْرُبُ مِنْهُ بِفِعْلِكَ كَيْفَ تَقْرُبُ
٣٢. كَيْفَ يَصِلْ لِمَقْصِدٍ مَنْ أَخْطَا طَرِيقَهُ وَدُونَهُ قَدْ حَطَّا
٣٣. فَكَيْفَ يَنْجُو مَنْ عَنَانَ شَهْوَتِهْ أَرْخَى لِنَفْسِهِ وَحَبْلَ غَفْلَتِهْ
٣٤. **دَوَاءُ**[2] هَذَا ٱلْمَرَضِ ٱلَّذِي عَدَا ٱلْأَخْذُ فِي التُّقَى مَعْ طِيبِ ٱلْغَدَا

---

(١) أورد السلميُّ في رسالة «ذكر النسوة المتعبّدات الصوفيات» (ص٤٩٥) في ترجمة رابعة بسنده: قال صالح المري بين يديها: مَنْ أَكْثَرَ قَرْعَ البَابِ يُفْتَحْ لَهُ. فقالَتْ: البَابُ مَفْتُوحٌ، ولَكِنِ الشَّأْنُ فِيمَنْ يَرْغَبُ أَنْ يَدْخُلَهُ.

(٢) **الخروبي**: توهُّمُ العبدِ النجاةَ من العقوبة بمجرَّدِ عمل الأذكار والطاعات مع إقامته على عيوبِ نفسِهِ وإصرارِه على عظيم ذنبه من عيوب نفسهِ القادحة في حاله الموجبة للنقص في أقواله وأفعاله، فالأذكارُ والطاعاتُ أسباب عندها لا بها، فلا ينجو أحدٌ من عقوبة الله إلا بفضله ورحمتِهِ، والأسباب التي هي الطاعاتُ لا تفيدُ مع إقامةِ العبدِ على عيوبِ نفسِهِ وإصراره على عظيم ذنبه. (الأنس، ص٤٥)

٣٥. قَالَ ٱلْحَكِيمُ[١] وَهْوَ قَوْلٌ حَسَـــنُ مُـتَّـجِـهٌ مُـحَـقَّـقٌ مُـبَـيَّـنُ

٣٦. لَا تَطْمَعِ النَّجَـاةَ مَعْ ذُنُوبِكَـا وَلَا تُرَجِّ الصَّـــحْوَ مَعْ عُيُوبِكَـا

(١) زروق: الحكيمُ: هو المَنْسُوبُ إِلَى الحِكْمَةِ وَهِيَ إِصَابَةُ الحَقِّ فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ، فَهُو لَا يَنْطِقُ بِشَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ تَحَقُّقِهِ بِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، فَلِذَلِكَ إِذَا نَطَقَ أَثَّرَ كَلَامُهُ فِي السَّامِعِ عَلَى حَسَبِ تَمَكُّنِهِ مِنْ قُلُوبِهِ، وَعَلَى هَذَا فَحَيْثُ صَارَ التَّنْوِيرُ فِي قَلْبِهِ وَصَلَ التَّعْبِيرُ مِنْ قُلُوبِ غَيْرِهِ. (مفتاح الإفادة، ص ٣٣١)

فَصْلٌ

فِي بُكَاءِ النَّفْسِ عِنْدَ سَمَاعِ المَوَاعِظِ أَوْ مَا تَرِقُّ لَهُ عِنْدَ سَمَاعِهِ مَعَ عَدَمِ تَأَثُّرِهَا مِنْ تِلْكَ المَوَاعِظِ وَانْفِعَالِهَا مِنْهَا

٣٧. **مِنْ عَيْبِهَا** إِذَا بَكَتْ تَفَرَّجَتْ   مِنْ حُزْنِهَا وَٱسْتَرْوَحَتْ وَٱبْتَهَجَتْ
٣٨. وَذَاكَ مِنْ مَيْلِهَا لِلرَّاحَهْ   وَطَلَبِ النَّفْسِ لِلْاِسْتِرَاحَهْ
٣٩. **دَوَاؤُهُ** بُكَاؤُهُ فِي ٱلْحُزْنِ   عَوْضَ مَا يَبْكِي لِأَجْلِ ٱلْحُزْنِ
٤٠. إِذْ مَنْ بَكَى مِنْ حُزْنِهِ يَسْتَرْوِحُ   وَبِٱلْبُكَا فِيهِ يَزِيدُ التَّرَحُ

فَصْلٌ

فِي رُؤْيَةِ الخَلْقِ وَالغَيْبَةِ عَنِ المَلِكِ الحَقِّ

٤١. **مِنْ عَيْبِهَا** رَجَاءُ نَفْعِ ٱلْخَلْقِ وَخَوْفُهُمْ أَيْضًا وَهَمُّ الرِّزْقِ
٤٢. وَذَاكَ مِنْ غَلَبَةِ ٱلْأَوْهَامِ وَالضَّعْفِ فِي ٱلْيَقِينِ وَالأَفْهَامِ
٤٣. لِأَنَّ مَنْ يَفْهَمُ عَنْ مَوْلَاهُ لَمْ يَرْتَجِي لِشَانِهِ سِوَاهُ
٤٤. **دَوَاؤُهُ** بِصِحَّةِ ٱلْإِيمَانِ وَعَدَمِ النَّظَرِ لِلْأَكْوَانِ
٤٥. وَفِكْرُهُ فِي عَجْزِهَا وَفَقْرِهَا وَعَزْلِهَا عَنْ نَفْعِهَا وَضُرِّهَا
٤٦. إِذْ مَنْ بِهِ ٱلْحَاجَةُ لَمْ يُوَاتِهِ فِي غَيْرِهِ مَا فَاتَهُ مِنْ ذَاتِهِ[1]
٤٧. وَهَمُّهُ بِرِزْقِهِ عَذَابُ يَفُوتُهُ بِفِعْلِهِ الصَّوَابُ
٤٨. مَعْ ضَمَانِ رَبِّنَا لِرِزْقِهِ وَرِزْقِ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ خَلْقِهِ
٤٩. فَمَنْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِالأَرْزَاقِ فَإِنَّهُ مُتَّهِمُ الرَّزَّاقِ

(١) **الخروبي**: معناه أنّ مَن كان فقرُهُ ذاتيًّا، وهو على كلِّ حالٍ محتاجٌ إلى غيرهِ، ولا قُدْرَةَ له على أن يَرْفعَ ما نَزَلَ به، وفَاتهُ ذلك في ذاتِه، لا يَصْلُح به أن يَفْعَلَهُ بغَيْرِه، فمن لا يستطيعُ أن يرفعَ حاجةً عن نَفْسِهِ فكيف يستطيعُ أن يكون عَنْ غَيْرِه رَافِعًا؟!. (الأنس، ص٥٢)

فَصْلٌ

فِي الفُتُورِ عَنِ العِبَادَاتِ وَالتَّقْصِيرِ فِي الطَّاعَاتِ وَعَدَمِ الاهْتِمَامِ لِلنَّقْصِ وَإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ

٥٠. مِنْ **عَيْبِهَا** الفُتُورُ وَالتَّقْصِيرْ ... وَتَرْكُهَا النُّهُوضَ وَالتَّشْمِيرْ

٥١. أَكْبَرُ مِنْهُ عَدَمُ ٱهْتِمَامِهِ ... لِنَقْصِهِ وَعَدَمُ ٱتِّهَامِهِ

٥٢. ثُمَّ ٱلْعَمَى عَنْ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ ... أَكْبَرُ مِنْهُ عِنْدَ ذِي التَّحْرِيرِ

٥٣. أَكْبَرُ مِنْهُ مَنْ يَرَى تَوْفِيرَهُ(١) ... مَعْ أَنَّهُ مُلَازِمٌ تَقْصِيرَهُ

٥٤. قَبِيحُهُ فِي عَيْنِهِ قَدْ حَسُنَا ... وَسُوءُ فِعْلِهِ لَهُ قَدْ زُيِّنَا

٥٥. وَذَاكَ مِنْ عَدَمِ شُكْرِ العَمَلِ ... وَعَدَمِ ٱعْتِنَائِهِ بِٱلْعِلَلِ

٥٦. **دَوَاؤُهُ** دَوَامُ الٱلْتِجَاءِ ... لِرَبِّنَا وَالذِّكْرُ لِلْآلَاءِ

٥٧. ثُمَّ لُزُومُ الذِّكْرِ وَالتِّلَاوَهْ ... وَفِكْرَةٌ تَذْهَبُ بِٱلْقَسَاوَهْ

٥٨. وَالبَحْثُ عَنْ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهْ ... وَتَرْكُ كُلِّ بَاطِلٍ وَمُشْتَبِهْ

٥٩. وَحِفْظُ حُرْمَةِ ذَوِي ٱلْإِسْلَامِ ... ثُمَّ دُعَاءُ السَّادَةِ ٱلْأَعْلَامِ

٦٠. يَرُدُّهُ لِحَالِهِ فِي طَاعَتِهْ ... وَبِلُزُومِ بِرِّهِ وَخِدْمَتِهْ

٦١. حَتَّى يُرَى فِي حَلْبَةِ السُّبَّاقِ ... مُشَمِّرًا لِلسَّيْرِ وَالسِّبَاقِ

---

(١) خ: تَوْقِيرَهُ.

فَصْلٌ

فِي فَقْدِ حَلَاوَةِ العَمَلِ

٦٢. **مِنْ عَيْبِهَا** فَقْدُ حَلَاوَةِ ٱلْعَمَلْ وَذَاكَ مِنْ شَــوْبِ رِيَاءٍ قَدْ حَصَـــلْ

٦٣. أَوْ تَرْكِ سُــنَّةٍ وَخَوْضِ النَّفْسِ فِي جُمْلَـةِ ٱلْأَسْــبَابِ ذَاتِ اللَّبْسِ

٦٤. **دَوَاؤُهُ** تَصْــحِيحُـهُ ٱلْبِـدَايَـهْ لِكَـي يَّنَـالَ صِـــحَّـةَ النِّهَـايَـهْ

٦٥. وَذَاكَ بِـالتَّوْحِيـدِ وَالإِخْلَاصِ وَٱلْأَخْـذِ بِـالسُّـــنَّـةِ وَٱلْـخَـلَاصِ

٦٦. مِنْ تَبِعَـاتٍ وَحُقُوقٍ لَّازِمَـهْ وَقِلَّـةِ ٱلْأَكْـلِ عَـلَـى ٱلْـمُـدَاوَمَـهْ

٦٧. فَخِفَّـةُ ٱلْبَطْنِ دَوَاءُ ٱلْقَلْـبِ وَكَثْرَةُ ٱلْأَكْـلِ أَسَـــاسُ ٱلْعَيْـبِ

٦٨. إِنْ شَـبِعَ البَطْنُ تَجُوعُ الأَعْضَـا وَإِنْ تَجُعْ يَكُونُ مِنْهَـا الإِغْضَـــا

فَصْلٌ

فِي رَجَاءِ الخَيْرِ لِلنَّفْسِ بِسَبَبِ شُهُودِهَا تَعْظِيمَ النَّاسِ لَهَا

٦٩. **مِنْ عَيْبِهَا** رَجَاؤُهُ ٱلْخَيْرَ بِمَا ... يَشْهَدُهُ مِن مَّشْهَدٍ قَدْ عَظُمَا
٧٠. وَذَاكَ مِنْ غَفْلَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ ... إِذْ حَقُّهُ فِي ذَا شُعُورُ بِأْسِهِ
٧١. لَهُمْ لِأَجْلِ كَوْنِهِ حَضَرَهُمْ ... إِذْ رُبَّمَا بِذَنْبِهِ قدْ ضَرَّهُمْ
٧٢. نَعَمْ وِإِزْرَاءُ ٱلْفَتَى بِنَفْسِهِ ... خَيْرٌ لَهُ مِنْ شُغْلِهِ بِأُنْسِهِ
٧٣. قِيلَ لِبَعْضِ سَادَةٍ فِي السَّلَفِ ... كَيْفَ تَرَى حَالَةَ أَهْلِ ٱلْمَوْقِفِ
٧٤. فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي كُنْتُ مَعَهُمْ ... لَكُنْتُ أَرْجُو اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ
٧٥. كَذَا يَكُونُ حَالُ أَهْلِ اليَقَظَهْ ... فِي تُهْمَةِ النَّفْسِ وَفِي المُحَافَظَهْ
٧٦. **دَوَاؤُهُ** ٱلْحَيَاءُ مِنْ مَوْلَاهُ ... لِكَوْنِهِ فِي ذَنْبِهِ يَرَاهُ
٧٧. فَعَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ذَكَرُوا[١] ... وَاسَوْأَتَا وَإِنْ ذُنُوبِي تُغْفَرُ
٧٨. وَذَاكَ مِنْ تَعْظِيمِهِ لِرَبِّهِ ... وَمِنْ شُهُودِهِ عَظِيمَ ذَنْبِهِ

---

(١) خ: أَثَرُ.

فَصْلٌ

فِي عَدَمِ التَّفَكُّرِ فِي الآخِرَةِ وَتَرْكِ أَخْذِ الأُهْبَةِ لَهَا وَالعَمَلِ لِأَجْلِهَا

٧٩. **مِنْ عَيْبِهَا** فَقْدُ حَيَاةِ ٱلْآجِلَهْ — إِلَّا بِمَوْتٍ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلْعَاجِلَهْ

٨٠. بِالْجُوعِ وَالذُّلِّ وَبِالْمُخَالَفَهْ — وَتَرْكِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ آلَفَهْ

٨١. وَفَقْدُهَا حَيَاتَهَا بِالْحَقِّ — إِلَّا بِمَوْتِهَا بِتَرْكِ الخَلْقِ

٨٢. وَذَاكَ مِنْ عُتُوِّهَا وَشُؤْمِهَا — وَجَهْلِهَا بِقَدْرِهَا فِي عِلْمِهَا

٨٣. **دَوَاؤُهُ** فِي ذَاكَ عَيْنُ دَائِهَا — إِنْ خَالَفَتْ مَا كَانَ مِنْ أَهْوَائِهَا[١]

٨٤. فَٱنْطَبَعَتْ لِلْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ — بِالتَّرْكِ لِلْبَاطِلِ وَارْتِفَاعِهِ

٨٥. قَدْ قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذِ الرَّازِي — كَلِمَةً بَلِيغَةَ الإِيجَازِ

٨٦. تَقَرُّبُ العَبْدِ بِمَوْتِ نَفْسِهِ — لِرَبِّهِ يَقْضِي بِحِفْظِ نَفْسِهِ[٢]

٨٧. وَقَالَ أَيْضًا ٱلْجُوعُ كَالطَّعَامِ — فِي بَدَنِ الصِّدِّيقِ في القَوَامِ[٣]

٨٨. قُلْتُ: وَفِي إِفْرَاطِهِ إِضْرَارُ — إِذْ تَفْسُدُ[٤] الأَبْدَانُ وَالأَفْكَارُ

---

(١) يشير إلى قول الجُنَيْد حين سئل: مَتى يصيرُ داءُ النَّفْسِ دَواهَا؟ فأجاب: إذا خالَفَتِ النَّفْسُ هواهَا صارَ دَاهَا دوَاهَا. (الرسالة القشيرية، ص٣٩٠) قال **الخَرُّوبِي**: جعلَ الداءَ الذي هو الذي هو مخالفة النفسِ هو عينَ الدواءِ من حيث إن مخالفة النفسِ مؤلمٌ من حيث الطَّبْعُ ملائمٌ من حيث الشرعُ، فكلُّ ما يخالفُ هوى النفسِ مؤلمٌ لها وفيه صلاحُها وانصياعها للحقِّ واتِّباعُه وتركُ الباطلِ وارتفاعُهُ. (الأنس، ص٨٢)

(٢) قال السلمي في عيوب النفس: قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ: «**مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِتَلَفِ نَفْسِهِ، حَفِظَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ**». وَذَلِكَ أَنْ يَمْنَعَهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا، وَيَحْمِلَهَا عَلَى مَكَارِهِهَا، فَإِنَّ النَّفْسَ لَا تَأْلَفُ مَعَ الحَقِّ أَبَدًا.

(٣) قال السلمي في عيوب النفس: قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: «**الجُوعُ طَعَامُ القُلُوبِ، وَبِهِ تَقْوَى أَبْدَانُ الصِّدِّيقِينَ**».

(٤) خ: تفلس.

٨٩. فَلْتَأْخُذَنْ بِالوَسَـــطِ المَحْمُودِ وَلْتَقْنَعَنْ بِـٱلْحَـاصِــــلِ ٱلْمَوْجُودِ
٩٠. فَطَرَفَـا قَصْــــدِ الأُمُورِ ذُمَّـا إِذْ قَـدْ يُخِـلُّ حِكْمَـةً وَحُكْمَـا

فَصْلٌ
فِي عَدَمِ إِلْفِ الحَقِّ وَالنُّفُورِ مِنْهُ

٩١. **مِنْ عَيْبِهَا** عَـدَمُ إِلْفِ الحَقِّ ... بِرَفْضِ مُوجَبِ الهُدَى وَالصِّـــدْقِ[١]
٩٢. وَذَاكَ مِنْ إِهْمَالِهَا[٢] فِي الحَالِ ... وَتَـرْكِـهَـا لِـمُـوجِـبِ الـكَـمَـالِ
٩٣. وَكُـلُّ مَنْ أَهْمَلَهَـا تُهْلِكُـهُ ... وَفِي الضَّـــلَالِ وَالْهَوَى[٣] تَسْــلُكُهُ
٩٤. إِذْ طَبْعُهَـا مُخَـالِفٌ لِلطَّـاعَـهْ ... فَخَـالِفِ التَّفْرِيطَ وَالإِضَـــاعَـهْ
٩٥. **دَوَاؤُهُ** الْخُرُوجُ مِنْهَـا كُلِّهَـا ... لِرَبِّهَـا بِـأَصْــلِهَـا وَفَصْــلِهَـا
٩٦. قِيـلَ: ابْنَ زَاذَانَ[٤] الَّـذْ قَـدْ ... لِـرَبِّـهِ فَـأَيَّ أَصْـــلٍ يَـنْـهَـجُ
٩٧. قَـالَ: بِتَرْكِ كُلِّ مَا مِنْهُ خَرَجْ ... وَعَـدَمِ اللَّحْظِ لِمَـا عَنْـهُ دَرَجْ[٥]
٩٨. قِيـلَ: فَهَـذَا حُكْمُ مَنْ لَـهُ قَـدَمْ ... فَكَيْفَ حُكْمُ خَـارِجٍ عَنِ العَـدَمْ[٦]

---

(١) موجَبُ الهدى والصدقِ: القيامُ بحقوق الربوبية، ولزومُ أوصاف العبودية. (الأنس، ص٨٥)

(٢) إهمالُ النَّفْسِ: تَرْكُ مُجاهدَتِها، والغَفْلَةُ عن مُناقشتها ومحاسبتها عما يصدر عنها. (الأنس، ص٨٥)

(٣) **زروق**: الهَوَى: مَيْلُ النَّفْسِ لِمَا تُرِيدُ مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ بِالحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ. (مفتاح الفضائل، ص٣٥٠)

(٤) **السُّلَمِيُّ**: قَالَ ٱبْنُ زَاذَانَ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَيِّ أَصْلٍ يَخْرُجُ؟ قَالَ: عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مَا مِنْهُ خَرَجَ، وَيَحْفَظَ نَفْسَهُ عَنْ مُلَاحَظَةِ مَا تَبَرَّأَ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ. فَقِيلَ لَهُ: هَذَا حُكْمُ مَنْ خَرَجَ عَنْ وُجُودٍ، فَكَيْفَ حُكْمُ مَنْ خَرَجَ عَنْ عدمٍ؟ فَقَالَ: وُجُودُ حَلَاوَةٍ فِي المُسْتَانَفِ عِوَضًا عَنِ المَرَارَةِ فِي السَّالِفِ.

(٥) يشير إلى كمال الخروجِ عن النَّفْس الأمَّارة وتمامِهِ، وهذا حالُ ثابتي القَدَمِ في السلوكِ. (الأنس، ص٨٨)

(٦) هذه عبارة عن أهل البدايات في السلوك. (الأنس، ص٨٨)

٩٩. قَالَ: وُجُودُ لَذَّةِ المُسْتَانِفِ عَوَّضَ مُرَّهُ الَّذِي فِي السَّالِفِ[١]
١٠٠. فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ طَعْمَ الحَقِّ فِي نَفْسِهِ فَسَالِكٌ بِالصِّدْقِ
١٠١. وَغَيْرُهُ فَلْيَتَّهِمْ أَعْمَالَهُ إِذْ لَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ كَمَالَهُ

(١) يشير إلى أن أهل البداية إذا وجدوا لذّة طعم الطاعة وجدوا مرارةَ ما سلف من المخالفةِ، ثم لا يزالُ الحقُّ يميلهم إليها بحلاوتها وعن المخالفة بمرارتها، والخيرُ في أثناء ذلك يتضاعف، والشرُّ يتلاشى ويتجانف إلى أن يثبتَ قدَمُ أهل البداية ويرتقون إلى التمكين والنهاية ويصيرُ حكمُهم حكمَ من خرَجَ عن النفس الأمارةِ بالكلية. (انظر الأنس، ص٨٩)

فَصْلٌ

فِي إِلْفِ النَّفْسِ لِلْخَوَاطِرِ الرَّدِيَّةِ وَالحَالَةِ الدَّنِيَّة

١٠٢. **مِنْ عَيْبِهَا** الْخَوَاطِرُ الرَّدِيَّهْ ... تَأْلَفُهَا وَالحَالَةُ الدَّنِيّهْ

١٠٣. فَتَحْتَكِمْ بِإِلْفِهَا المُخَالَفَهْ ... حَتَّى تَعُدْ لِفِعْلِهَا مُوَالِفَهْ[1]

١٠٤. إِذْ يَثْبُتُ الخَاطِرُ بِالتَّكْرَارِ ... وَيَرْتَسِخْ[2] فِي قُوَّةِ الإِفْكَارِ

١٠٥. وَذَاكَ مِنْ فُقْدَانِهَا الْمُرَاقَبَهْ ... وَعَدَمِ الذِّكْرِ عَلَى المُوَاظَبَهْ

١٠٦. **دَوَاؤُهُ** الرَّدُّ لَهَا فِي ٱلِابْتِدَا ... بِالذِّكْرِ وَالْخَوْفِ عَلَى طُولِ الْمَدَى

١٠٧. وَكَوْنُهُ مُرَاقِبًا لِرَبِّهِ ... وَعَامِلًا عَلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ

١٠٨. لِأَنَّهُ مُنْفَرِدٌ لِلْحَقِّ ... وَالجِسْمُ فِيهِ عِلَّةٌ لِلْخَلْقِ

١٠٩. فَفِي حَدِيثِ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ ... نَصٌّ عَلَيْهِ عَمَلُ الْأَبْرَارِ

١١٠. لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صُوَرِكُمْ ... وَلَا إِلَى الأَعْمَالِ بَلْ قُلُوبِكُمْ

١١١. فَخَيْرُهَا ذُو رِقَّةٍ وَذُو صَفَا ... وَشَرُّهَا ذُو غِلْظَةٍ وَذُو جَفَا

١١٢. وَأَوَّلُ الذَّنْبِ يُقَالُ الخَطْرَهْ ... كَالسَّيْلِ فِي ابْتِدَائِهِ بِالقَطْرَهْ

١١٣. ثُمَّ يَصِيرُ بَعْدَهَا مُعَارَضَهْ ... مَا لَمْ يَكُنْ بِكُرْهِهِ قَدْ عَارَضَهْ

١١٤. ثُمَّ تَصِيرُ بَعْدَ ذَاكَ وَسْوَسَهْ ... مَا لَمْ يَكُنْ بِكُرْهِهِ قَدْ سَايَسَهْ

١١٥. ثُمَّ تَهِيجُ شَهْوَةٌ مِنَ الهَوَى ... تَذْهَبُ بِالخَيْرِ وَتُضْعِفُ القُوَى

١١٦. إِنْ لَمْ تُدَارَكْ بِجِهَادِ النَّفْسِ ... تُثِيرُ كُلَّ عِلَّةٍ وَلَبْسِ

١١٧. إِذْ غَطَّتِ المَعْقُولَ ذَا البُرْهَانِ ... وَالعِلْمَ ذَا الحُجَّةِ وَالبَيَانِ

---

(١) خ: الموالفه.

(٢) خ: وَيَرْتَسِمْ.

١١٨. فَـأَعْمَـتِ السَّـــرَائِرَ المُنَوَّرَهْ   وَطَمَسَـــتْ بَصِـــيرةً مُسْـــتَبْصِـــرَهْ
١١٩. فَأَصْـــبَحَ القَلْبُ كَذَاكَ أَعْمَى   وَقَـدْ عَـلَاهُ ظُـلْـمَـةٌ وَظَـلْـمَـا
١٢٠. وَذَاكَ مَعْنًى جَاءَ فِي الأَخْبَارِ   عَنِ النَّبِيِّ المُصْـــطَفَى المُخْتَـارِ

فَصْلٌ

فِي شُغُلِ النَّفْسِ بِعَيْبِ غَيْرِهَا وَعَدَمِ نَظَرِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ العُيُوبِ

١٢١. **مِنْ عَيْبِهَا** الشُّـغْلُ بِعَيْبِ النَّاسِ وَتَـرْكُ مَـا بِـهَـا مِـنَ الأَدْنَـاسِ

١٢٢. وَذَاكَ مِنْ كِبْرٍ وَمِنْ إِعْجَـابِ وَغَـفْـلَـةٍ عَـنْ مُـوجِـبِ الـعَـذَابِ

١٢٣. فَقَـدْ أَتَى الوَيْـلُ لِكُـلِّ هُمَزَهْ وَبَـعْـدَهُ فِـي ذَاكَ كُـلُّ لُـمَـزَهْ

١٢٤. وَفَسَّـــرُوهُ أَنَّـهُ الـغَـيَّـابُ[(١)] وَيْـلٌ لَـهُ حَـلَّ بِـهِ الـعَـذَابُ

١٢٥. **دَوَاؤُهُ** إِبْصَـــارُ عَيْبِ نَفْسِـــهِ وَبَحْثُـهُ عَنْ مُوجِبَـاتِ تَعْسِـــهِ

١٢٦. وَصُـــحْبَةُ الأَخْيَـارِ وَالأَبْرَارِ بِـــالاتِّـــبَـــاعِ وَبِـــالِائْـــتِـــمَـــارِ

١٢٧. مِنْ عَـالِمٍ ذِي وَرَعٍ وَذِي تُقَى أَوْ صَـــالِحٍ فِي شَـــأْنِـهِ تَحَقَّقَـا

١٢٨. وَدُونَ ذَا السُّكُوتُ عَنْ أَخْبَارِهِمْ وَنَشْـــرُ مَـا يَظْهَرُ مِنْ أَعْـذَارِهِمْ

١٢٩. رَجَـاءَ سَـــتْرِ ذَنْبِـهِ وَعَيْبِـهِ وَخَـوْفَـهُ ٱفْـتِضَـــاحَـهُ بِسَـــبِّـهِ

١٣٠. فَفِي الحَدِيثِ سُتْرَةُ المَرْءِ أَخِيهْ سَـــتْرٌ لَـهُ فِي كُـلِّ حَـالٍ[(٢)] يَقْتَفِيـهْ

١٣١. وَفِيـهِ أَيْضًـــا مَنْ تَتَبَّعْ عَوْرَتَـهْ فَضَـــحَـهُ الـلَّـهُ وَأَبْـدَى زَلَّـتَـهْ

١٣٢. وَإِن[(٣)] يَكُنْ فِي جَوْفِ بَيْـتٍ جَـاءَ بِمَعْنَـاهُ الرَّسُـــولُ ذُو العُلَا

١٣٣. قَـالُوا[(٤)]: رَأَيْنَـا مَنْ خَلَا مِنْ فَعَـادَ عَيْبًـا شُـــغْلُـهُ[(٥)] بِعيْبِـهِ

---

(١) خ: العَيَّابُ.

(٢) خ: عَيْبٍ.

(٣) خ: وَلَوْ.

(٤) قال ابن زَاذَانَ المَدَايِنِيُّ: «**رَأَيْتُ أَقْوَامًا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ عُيُوبٌ فَسَكَتُوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ فَسَتَرَ اللَّهُ عُيُوبَهُمْ وَزَالَتْ عَنْهُمْ تِلْكَ العُيُوبُ، وَرَأَيْتُ أَقْوَامًا لَمْ تَكُنْ لَهُمْ عُيُوبٌ فَٱشْتَغَلُوا بِعُيُوبِ النَّاسِ فَصَارَتْ لَهُمْ عُيُوبٌ**».

(٥) خ: بغيره.

١٣٤. وَأَحْـدَثَ النَّـاسُ لَهُمْ عُيُوبَـا كَـانَ لَـدَيْهِمْ شَــــأْنُهَـا مَحْجُوبَـا
١٣٥. وَآخَرُونَ بِـالعُيُوبِ اشْــــتَهَرُوا فَسَــــكَتُوا عَنْ غَيْرِهِمْ فَسُـــتِرُوا
١٣٦. وَزَالَـتِ العُيُوبُ عِنْـدَ النَّـاسِ وَطُـهِّـرُوا مِـنْ جُـمْـلَـةِ الأَدْنَـاسِ
١٣٧. فَلْتُعْنَ يَا صَاحِ بِهَذِي الخَصْلَهْ فَـإِنَّــهَـا مُصِـــيـبَـةٌ وَذِلَّــهْ
١٣٨. وَتَـرْكُـهَـا مَنْقَبَـةٌ عَـظِـيـمَـهْ وَوَصْـــفُ كُـلِّ مُـهْـجَـةٍ كَـرِيـمَـهْ

فَصْلٌ

فِي مُقَامِ النَّفْسِ عَلَى الذَّنْبِ وَنِيَّةِ العَوْدَةِ إِلَيْهِ

١٣٩. **مِنْ عَيْبِهَا** الإِصْـــرَارُ وَالتَّوَانِي ... وَالعَجْزُ وَالتَّسْــوِيفُ وَالأَمَـانِي

١٤٠. وَذَاكَ مِنْ أُنْسٍ لَهَا بِالكَسَـــلِ ... وَقِلَّـةِ التَّـوْفِيـقِ حَـالَ العَـمَـلِ

١٤١. وَعَـدَمِ التَّقْوَى وَالاحْتِيَـاطِ ... وَالخَـوْضِ فِـي مَـوَارِدِ الخَبَـاطِ

١٤٢. **دَوَاؤُهُ** بِـقَـوْلَـةِ الـجُـنَـيْـدِ ... لَمَّا سُــئِلْ عَنِ الطَّرِيقِ القَصْـــدِ

١٤٣. بِتَوْبَـةٍ تَـذْهَـبُ بِـالإِصْـــرَارِ ... وَرَفْضِ تَسْـــوِيفٍ بِخَوْفِ البَـارِي

١٤٤. وَبِرَجَـاءٍ بَـاعِـثٍ عَلَى العَمَـلْ ... وَالـذِّكْرِ دَائِمًـا وَتَقْصِـــيرِ الأَمَـلْ

١٤٥. وَأَصْــــلُ كُلِّهَـا فُؤَادٌ مُفْرَدُ ... تَــوْحِــيــدُهُ مُــحَــرَّرٌ مُــجَــرَّدُ

١٤٦. فَخَالِصُ التَّوْحِيدِ فِي الطَّرِيقَهْ ... كَمِثْلِ أَصْـــلِ الغُصْـــنِ فِي الحَدِيقَهْ

فَصْلٌ
فِي رُؤْيَةِ النَّفْسِ لِأَفْعَالِهَا

١٤٧. **مِنْ عَيْبِهَا** رُؤْيَتُهُ لِنَفْسِهِ وَرِفْقُهُ بِهَا لِأَجْلِ حِسِّهِ[١]

١٤٨. وَذَاكَ مِنْ غَلَبَةِ الأَوْهَامِ وَعَدَمِ الخَوْفِ مِنَ الآثَامِ

١٤٩. إِذْ مَنْ يَخَفْ يَوْمَ حُلُولِ رَمْسِهِ لَمْ يُتَصَوَّرْ رِفْقُهُ بِنَفْسِهِ[٢]

١٥٠. **دَوَاؤُهُ** رُؤْيَةُ فَضْلِ اللَّهِ وَتَرْكُ كُلِّ غَافِلٍ وَلَاهِ

١٥١. وَالأَخْذُ بِالجِدِّ وَبِالتَّشْمِيرِ وَتَرْكُ صُحْبَةِ ذَوِي التَّقْصِيرِ

١٥٢. وَكُلِّ مَنْ عَنْ نَفْسِهِ رِضَاهُ وَلَا يَرَى العَيْبَ الَّذِي أَتَاهُ

١٥٣. إِذْ صُحْبَةُ الرَّاضِي تَزِيدُ فِي وَتَدْفَعُ العَبْدَ إِلَى سُوءِ القَضَا

١٥٤. وَصُحْبَةُ المُجْتَهِدِ النَّحْرِيرِ تَزِيدُ فِي الجِدِّ وَفِي التَّشْمِيرِ

١٥٥. وَالوَاسِطِيُّ قَالَ قَوْلًا حَسَنَا أَقْرَبُ شَيْءٍ مَقْتُ مَنْ بِهِ اعْتَنَى

١٥٦. وَمَنْ رَأَى أَفْعَالَهُ الجَمِيلَهْ بِأَنَّهَا حَسَنَةٌ فَضِيلَهْ

---

(١) **الخروبي**: النفسُ إذا نظرتَ إليها بعين الرضا أمالتْكَ إلى ما تهوى، وإن رفقتَ بها لم ترفق بك أبدا، وأتبعتْكَ على طول المدى، ولا تسعفك أبدا إلى سبيل الهدى، وإذا كان حالُ النفس هكذا فعلى العاقل أن يتعبها قبل أن تتعبهُ، وأن يضعفها قبل أن تهلكُه، ولا يرضى عنها ولا يرفق بها، فإن لم يفعل حقَّرتهُ واستعبدتْهُ، فتميلُهُ إلى ما تهوى وتقودُهُ إلى ما ترضى، وفي ذلك هلاكُهُ. (الأنس، ص١١٣)

(٢) **الخروبي**: إذا عدم العبدُ الخوفَ من الآثامِ أوجبَ له ذلك رؤيته لنفسهِ ورفقه بها ورضاه عنها، وإذا خاف من الوقوع في الآثام كان حالُهُ مع نفسه بخلاف ذلك، وكذلك إذا خاف العبدُ يوم حلول رمسه لم يتصور منه أن يرفق بنفسه، بل يحملها على طريق الجد في العمل ويذيقها مرارة المجاهدة، ولا يرفعُ عنها عصا التأديب وسوط الخوفِ إلى أن تلقي السلاحَ وتميلَ إلى طريق الصلاحِ، من غلب عليه الخوفُ لم يتصور منه أبدا رفقُهُ بنفسه، فإن الرفق بالنفس ينشأ عنه الكسلُ، والخوفُ باعثٌ على العمل. (الأنس، ص١١٤)

١٥٧. لِأَنَّ ذَاكَ يَقْتَضِي اسْتَحْسَانَ مَا تَـأْتِـي لَـهُ لَـمَّـا يَـكُـونُ مَـأْثَـمَـا
١٥٨. فَلْتَتَّهِمْ نَفْسَـــكَ طُولَ العُمْرِ مُعْتَصِـــمًـا بـاللَّـهِ فِي ذَا الأَمْرِ

فَصْلٌ

فِي الاشْتِغَالِ بِالتَّزَيُّنِ لِلْخَلْقِ مَعَ الغَيْبَةِ عَنْ شُهُودِ المَلِكِ الحَقِّ[1]

١٥٩. **مِنْ عَيْبِهَا** تَزْيِينُهَا الظَّوَاهِرْ مَعْ تَرْكِهَا لِزِينَةِ السَّرَائِرْ[2]
١٦٠. وَذَاكَ مِنْ تَعْظِيمِهَا لِلْخَلْقِ[3] وَتَرْكِ مُوجِبِ الهُدَى وَالصِّدْقِ[4]
١٦١. **دَوَاؤُهُ** أَنْ يَعْتَنِي بِسِرِّهِ لِيُصْلِحَ اللَّهُ جَمِيعَ أَمْرِهِ
١٦٢. إِذْ فِي الحَدِيثِ مُصْلِحُ السَّرَائِرْ لِرَبِّهِ يُصْلِحْ لَهُ الظَّوَاهِرْ[5]
١٦٣. وَفَضَّلَ السِّرَّ الرَّسُولُ إِذْ دَعَا بِقَوْلِهِ «**خَيْرُ**»[6] وَكُلًّا جَمَعَا
١٦٤. فَبَيَّنَ الفَضْلَ لَدَى الجَمِيعِ وَفَضَّلَ السِّرَّ عَلَى المَجْمُوعِ

---

(١) أو: فِي تزْيِينِ الظَّوَاهِرِ وَتَرْكِ زِينَةِ السَّرَائِرِ

(٢) **الخروبي**: فأولى للعبدِ أن يهتمّ بتزيين سريرته وطهارة قلبهِ وإصلاح نيته، فهذا الذي أمر اللهُ عبادَهُ المخلصين، وهذه أوصاف المؤمنين. (الأنس، ص١١٩)

(٣) **الخروبي**: تعظيمُ الخَلْق يوجبُ مداراتَهُم، والتصنّعَ لهم، والتزيُّنَ، ومداهنتَهُم، والرِّياءَ مِنْ أجْلِهم وغير ذلك من الأحوال الذميمة. (الأنس، ص١٢٠)

(٤) **الخروبي**: مُوجب الهِدَايةِ التقوى، فمن اتقى اهتدى، وموجِبُ الصدقِ مع الله سكونُ هيبتِهِ في القلب وشهودُ جلاله وعظمتهِ، فإذا امتلأ القلب بالهيبة والجلال وشاهَدَ العظمة والكمال كان العملُ للحقِّ لشهودِهِ إياه، لا للخلق لغيبته عنهم. (الأنس، ص١٢١)

(٥) يشير إلى ما رُوِيَ: «**مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيتَهُ**». وهو من كلامِ السلف كما عند ابن أبي شيبة في المصنف (ج٧/ص١٦٢) وابن هناد السري في الزهد (ج١/ص٣٠٠) وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص (رقم ٢٥) والصحيح في ذلك قَوْلُه ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**». (البخاري: ٥٢ ـ ومسلم: ١٥٩٩)

(٦) يشير إلى قوله ﷺ: «**خَيْرُ الذِّكْرِ الخَفِي**». أخرجه أحمد في مسنده (١٤٧٧)

فَصْلٌ

فِي طَلَبِ الأَعْوَاضِ

١٦٥. **مِنْ عَيْبِهَا** طَلَبُهُ الأَعْوَاضَـــا — بِفِعْلِـهِ وَقَصْـــدُهُ الأَغْـرَاضَـــا

١٦٦. وَذَاكَ مِـنْ رُؤْيَتِـهِ أَعْـمَـالَـهُ — وَلَـحْـظِـهِ فِـي شَـــأْنِـهِ أَحْـوَالَـهُ

١٦٧. وَأَصْـــلُـهُ مِنْ غَفْلَـةٍ عَن رَبِّـهِ — وَفَـقْـدِهِ شُـــــهُـودَهُ لِـقُـرْبِـهِ

١٦٨. **دَوَاؤُهُ** فِي رُؤْيَـةِ التَّقْصِـــيرِ — وَفِي شُـــهُودِ الحُكْمِ وَالتَّقْـدِيرِ

١٦٩. إِذْ لَا يَزِيـدُ عَمَلٌ فِيمَا قُسِـــمْ — لَـكِـنَّـهُ عِـبَـادَةٌ لَـنَـا رُسِـــمْ

١٧٠. وَمَنْ يُرِدْ أَخْذَ الجَزَاءِ بِٱلْعَمَلْ — طُولِـبَ بِـٱلَّـذِي يَكُونُ مِنْ عِلَـلْ

١٧١. يَكْفِي المُرِيبَ غُنْمَةُ السَّـــلَامَهْ — إِذْ فِـعْـلُـهُ يَـؤُولُ لِـلـنَّـدَامَـهْ

١٧٢. وَإِنَّمَـا أَعْمَـالُنَـا مِنْ مِنَّتِـهْ — فَكَيْفَ تَطْلُـبُ ٱلْجَزَا عَنْ هِبَتِـهْ؟!

فَصْلٌ
فِي فَقْدِ الالْتِذَاذِ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَة

١٧٣. **مِنْ عَيْبِهَا** نَفْيُ ٱلْتِذَاذٍ بِالعَمَلْ ... أَوْ فَقْدُهُ مِنْ بَعْدِمَا كَانَ حَصَلْ
١٧٤. وَذَاكَ مِنْ خِيَانَةِ السَّرِيرَهْ ... وَسَقَمِ القَلْبِ مَعَ البَصِيرَهْ
١٧٥. **دَوَاؤُهُ** فِي خِدْمَةِ الأَخْيَارِ ... وَالشُّغْلُ بِالتَّقْوَى وَبِٱلْأَذْكَارِ
١٧٦. وَخِفَّةُ البَطْنِ وأَكْلُهُ الحَلَالْ ... ثُمَّ تَضَرُّعٌ لِرَبِّي وَٱبْتِهَالْ
١٧٧. لَا سِيَّمَا فِي ظُلْمَةِ الأَسْحَارِ ... وَفِي خُلُوِّكَ عَنِ ٱلْأَغْيَارِ

فَصْلٌ

فِي طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَحُبِّ الجَاهِ وَالكِبْرِ وَالفَخْرِ وَالتَّبَاهِي وَقَصْدِ العَامِلِ بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى

١٧٨. **مِنْ عَيْبِهَا** طَلَبُهُ الرِّيَاسَهْ ... بِٱلْعِلْمِ وَٱلْجَاهِ وَبِالسِّيَاسَهْ

١٧٩. وَٱلْكِبْرُ وَٱلْفَخْرُ مَعَ التَّبَاهِي ... بِجِنْسِهِ وَقَصْدُ غَيْرِ ٱللَّهِ

١٨٠. وَذَاكَ مِنْ إِيثَارِهِ دُنْيَاهُ ... نَعَمْ وَمِنْ نِسْيَانِهِ مَوْلَاهُ

١٨١. لِأَنَّ ذِكْرَ الرَّبِّ يَنْهَى النَّفْسَا ... فَلَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ فِيهَا أُنْسَا

١٨٢. وَالأُنْسُ بِالدُّنْيَا وَذِكْرِ النَّفْسِ ... لِلرَّبِّ يُنْسِي وَٱلْقُلُوبَ يُقْسِي

١٨٣. **دَوَاؤُهُ** فِي رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ ... وَشُكْرِهِ لِلْمَلِكِ ٱلْقَدِيرِ

١٨٤. فِي جَعْلِهِ وِعَاءَ عِلْمٍ وَعَمَلْ ... وَخَوْفِهِ مِنْ سَلْبِهِ بِمَا فَعَلْ

١٨٥. ثُمَّ التَّوَاضُعُ وَالاِنْكِسَارُ ... وَالنُّصْحُ وَٱلْإِشْفَاقُ وَٱلْإِبْرَارُ

١٨٦. قَالَ النَّبِيُّ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارُ ... قَوْلًا صَحِيحًا طَيُّهُ إِنْذَارُ

١٨٧. مَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ يُبَاهِي ٱلْفُقَهَا ... بِعِلْمِهِ أَوْ لِيُمَارِي ٱلسُّفَهَا

١٨٨. أَوْ لِيَنَالَ ٱلْجَاهَ عِنْدَ النَّاسِ ... بَاءَ بِنَارٍ فَهْوَ ذُو إِفْلَاسِ

١٨٩. وَكُلُّ عِلْمٍ لَمْ يَزِدْ مِنَ ٱلْهُدَا ... صَاحِبُهُ عَن رَّبِهِ قَدْ بَعُدَا

١٩٠. كَذَا أَتَى فِي السُّنَّةِ ٱلْعَلِيَّهْ ... مَنْ زَادَ عِلْمًا فَلْيَزِدْ فِي ٱلْخَشْيَهْ

١٩١. وَجَاءَ مَعْنًى فِي ٱلْكِتَابِ ... مَنْ يَخْشَ رَبِّي ذَاكَ عَبْدٌ قَدْ عَلِمْ

١٩٢. قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ يَا ذَا العَالِمُ ... فَقَالَ مَن يَخْشَى فَذَاكَ العَالِمُ

١٩٣. وَعُلَمَاءُ السُّوءِ فِي الأَخْبَارِ ... أَوَّلُ مَن يَصْلَى سَعِيرَ النَّارِ

فَصْلٌ

فِي الكَسَلِ عَنِ الطَّاعَاتِ وَالتَّوَانِي فِي فِعْلِ الصَّالِحَاتِ

١٩٤. **مِنْ عَيْبِهَا** الكَسَـــلُ وَالتَّوَانِي وَأَصْـــلُ ذَاكَ شِـــبَعُ الْأَبْـدَانِ

١٩٥. بِـهِ تَقَوَّى حَظُّهَـا وَلَحْظُهَـا فَيُتْرَكُ القَلْـبُ وَيَبْـدُو رَفْضُـــهَـا

١٩٦. لِكُـلِّ خَيْرٍ كَـانَ فِي الحَقِيقَـهْ وَكُـلِّ مَـا يُطْلَـبُ فِي الطَّرِيقَـهْ

١٩٧. **دَوَاؤُهُ** إِضْـــعَـافُهَـا بِـالجُوعِ وَشُـــغْلُهَـا مِنْ غَيْرِ مَـا بِجُوعِ

١٩٨. فَفِي حَدِيثِ المُصْطَفَى المُعَظَّمِ البَـطْنُ شَـــرٌّ مَـا مَـلَاهُ الآدَمِي

١٩٩. إِنْ كَـانَ لَابُدَّ فَثُلُـثُ الطَّعَـامْ وَالنَّفَسُ الثُّلُـثْ وَلِلْمَـاءِ التَّمَـامْ

٢٠٠. وَالنَّفْسُ إِنْ أَهْمَلْتَهَا لَا تَصْـلُحُ وَإِنْ تَزِدْ فِي ضِـــيقِهَـا قَـدْ تَجْمَحُ

٢٠١. فَٱحْتَلْ عَلَى النَّفْسِ فَرُبَّ حِيلَةِ أَنْـفَعُ فِي النُّصْـــرَةِ مِنْ قَبِيلَـةِ

فَصْلٌ

فِي كَثْرَةِ الكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْنِي وَفِي المَوَاطِنِ الَّتِي يُطْلَبُ فِيهَا الصَّمْتُ

٢٠٢. **مِنْ عَيْبِهَا** إِكْثَارُهَا مِنَ ٱلْكَلَامْ ... وَذَاكَ مِنْ حُبِّ ٱلْعُلُوِّ فِي الْأَنَامْ

٢٠٣. وَٱلْجَهْلِ بِٱلْوَاجِبِ فِي التَّحَدُّثِ ... وَمُوجِبَاتِ المَقْتِ وَالتَّبَثْبُثِ(١)

٢٠٤. **دَوَاؤُهُ** تَفْضِيلُهُ ٱسْتِمَاعَهْ ... عَلَى كَلَامِهِ لِأَجْلِ الطَّاعَهْ

٢٠٥. إِذْ فِي حَدِيثِ المُصْطَفَى ... إِنَّ ٱلْبَلَا مُوَكَّلٌ بِٱلْمَنْطِقِ

٢٠٦. وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النِّيرَانِ ... شَيْءٌ سِوَى حَصَائِدِ اللِّسَانِ

٢٠٧. وَقَالَ: كُلُّ مَا يَقُولُ ٱلْآدَمِي ... فَهْوَ عَلَيْهِ مُوجِبٌ لِلنَّدَمِ

٢٠٨. إِلَّا ٱلَّذِي يَأْمُرُ بِٱلْمَعْرُوفِ ... أَوْ يَنْهَ عَنْ نُكْرٍ وَعَنْ مَأْلُوفِ

٢٠٩. وَجَامِعُ ٱلْأَمْرِ عَلَى التَّحْرِيرِ ... فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ(٢)﴾

٢١٠. وَمَا أَتَى فِي شَأْنِ كَتْبِ ٱلْحَفَظَهْ ... لِعَمَلِ ٱلْعَبْدِ مَعَ ٱلْمُحَافَظَهْ

٢١١. إِذْ كُلُّ لَفْظٍ فَلَهُ رَقِيبُ ... يَكْتُبُهُ وَهْوَ لَنَا قَرِيبُ

٢١٢. فَلْتَحْتَفِظْ مِنْ آفَةِ اللِّسَانِ ... فَإِنَّهُ ضُرٌّ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ

٢١٣. وَأَصْعَبُ ٱلْأَعْضَاءِ فِي ٱلْمُرَاقَبَهْ ... عِلَّتُهُ عَلَى ٱلْأَنَامِ عَاقِبَهْ

---

(١) مِنْ بَثْبَثْتُ الخَبرَ بَثْبَثَةً: نَشَرْتُهُ. (الصحاح، ج١/ص٢٧٣) فهو هنا بمَعْنَى كَثْرَة الكلام.

(٢) النساء: ١١٤

فَصْلٌ

فِي تَعَدِّي الحُدُودِ فِي مَدْحِ المَحْبُوبِ وَذَمِّ المَبْغُوضِ

٢١٤. **مِنْ عَيْبِهَا** تَجَاوُزُ ٱلْحُدُودِ ... عِنْدَ الرِّضَا وَٱلْغَضَبِ ٱلْمَوْجُودِ
٢١٥. بِزَائِدِ ٱلْمَدْحِ لِمَنْ تَرْضَى بِهِ ... وَعَكْسُهُ تَزِيدُ فِي[1] عُيُوبِهِ
٢١٦. وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِحَقِّ ٱللَّهِ ... وَطَلَبِ الرِّضَا لِغَيْرِ ٱللَّهِ
٢١٧. **دَوَاؤُهُ** فِي ذَا ٱلْتِزَامُ الصِّدْقِ ... حَتَّى يَصِيرَ مُؤْثِرًا لِلْحَقِّ
٢١٨. فِي حَالَتَيْهِ مِن رِّضَا وَمِنْ ... إِذْ عَدْلُهُ فِي ٱلْحَالَتَيْنِ قَدْ وَجَبْ
٢١٩. وَعَدَّهُ خَيْرُ ٱلْوَرَى فِي ... وَفِي ٱلْخِصَالِ ٱلْفَاضِلَاتِ الزَّاكِيَاتْ
٢٢٠. وَقَالَ: مَن يَّطْلُبْ رِضَى ... بِسُخْطِ ٱللَّهِ بَاءَ بِالتَّضْيِيقِ
٢٢١. إِذْ يَسْخَطُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ رَبُّنَا ... وَيَسْخَطُ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِ فِي الدُّنَا
٢٢٢. فَلَا يَنَالُ مَا أَرَادَ أَبَدَا ... مَعْ أَنَّهُ مِن رَّبِّهِ قَدْ بَعُدَا
٢٢٣. وَقَدْ نَهَى ٱللَّهُ عَنِ ٱقْتِفَاءِ مَا ... لَمْ يَكُنِ ٱلْمَرْءُ بِهِ قَدْ عَلِمَا
٢٢٤. وَقَالَ خَيْرُ مَنْ أَتَى لِلْمُفْلِحِينَا ... ٱحْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ ٱلْمَادِحِينَا

---

(١) خ: عِتَابِهِ.

فَصْلٌ

فِي سُخْطِ الوَاقِعِ بَعْدَ الاسْتِخَارَةِ

٢٢٥. **مِنْ عَيْبِهَا** أَن يَّسْتَخِيرَ أَوَّلَا وَبَعْدَهَا يَسْخَطُ مَا قَدْ حَصَلَا

٢٢٦. وَذَاكَ مِنْ تُهْمَتِهِ لِرَبِّهِ وَبُعْدِهِ عَن مُّوجِبَاتِ قُرْبِهِ

٢٢٧. **دَوَاؤُهُ** بِعِلْمِهِ بِجَهْلِهِ فِي حَالِهِ وَأَصْلِهِ وَفَصْلِهِ

٢٢٨. إِذْ قَدْ يُحِبُّ مَا يَكُونُ شَرَّا وَيَكْرَهُ ٱلْأَمْرَ يَكُونُ خَيْرَا

٢٢٩. وَٱلْعَبْدُ لَا يَعْلَمُ مَا يَخْتَارُ وَوَصْفُهُ ٱلْعَجْزُ وَالِٱفْتِقَارُ

٢٣٠. وَرَبُّنَا يَعْلَمُ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ وَقَادِرٌ عَلَيْهِ فِي عَجْزٍ لَدَيْهِ

٢٣١. فَلْيَسْتَرِحْ مِنْ تَعَبِ التَّدْبِيرِ وَٱلْهَمِّ وَالنُّكْرِ أَوِ النَّكِيرِ

٢٣٢. مُفَوِّضًا لِرَبِّهِ وَرَاضِيَا بِمَا قَضَاهُ عَالِيًا وَدَانِيَا

فَصْلٌ
فِي كَثْرَةِ التَّمَنِّي دُونَ وُقُوفٍ وَلَا تَأَنِّي

٢٣٣. **مِنْ عَيْبِهَا** إِكْثَارُهُ التَّمَنِّي   دُونَ تَوَقُّفٍ وَلَا تَأَنِّي
٢٣٤. إِمَّا بِخَيْرٍ يَرْتَجِي وُصُولَهْ   وَدَفْعِ شَرٍّ يَخْتَشِي حُصُولَهْ
٢٣٥. وَذَاكَ مِنْ خَوْضٍ وَمِنْ تَدْبِيرِ   وَرَفْضِهِ النَّظَرَ لِلتَّقْدِيرِ
٢٣٦. **دَوَاؤُهُ** تَسْلِيمُهُ لِرَبِّهِ   وَعِلْمُهُ فِي حَالِهِ بِقُرْبِهِ
٢٣٧. إِذْ مَا يَكُنْ مِنْ نَفَسٍ يُبْدِيهِ   إِلَّا وَفِيهِ قَدَرٌ يُمْضِيهِ
٢٣٨. فَإِن رَّضِي بِحُكْمِهِ وَقِسْمَتِهْ   نَالَ ٱلَّذِي يَقْضِي مَعَ ٱسْتِرَاحَتِهْ
٢٣٩. وَنَفْسُهُ يُتْعِبُهَا مَهْمَا سَخِطْ   إِذْ يَنْفُذُ ٱلْقَضَاءُ وَهْوَ يَخْتَبِطْ
٢٤٠. قَالَ الرَّسُولُ وَهْوَ خَيْرُ مُخْبِرِ   إِذَا تَمَنَّى أَحَدٌ فَلْيَنْظُرِ
٢٤١. فِيمَا تَمَنَّى وَٱلَّذِي قَصَدْ لَهُ   إِذْ إِنَّهُ لَا يَدْرِ مَا كُتِبْ لَهُ
٢٤٢. وَجَاءَ نَهْيٌ عَنْ تَمَنِّي ٱلْمَوْتِ   عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ خَوْفَ ٱلْفَوْتِ
٢٤٣. وَلْيَقُلِ ٱلْعَبْدُ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ   حَيَاتِ خَيْرًا أَوْ أَمِتْ إِنْ كَانَتِ
٢٤٤. وَفَاتِ خَيْرًا لِي وَذَا تَفْوِيضُ   فِيهِ الدُّعَا وَالصَّمْتُ وَالتَّعْرِيضُ

فَصْلٌ

فِي تَوَجُّهِ العَبْدِ بِقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ إِلَى الدُّنْيَا

٢٤٥. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْخَوْضُ بِكُلِّ وَادِ   وَٱلْأَخْذُ فِي ٱلْأَسْبَابِ بِٱلْمُعْتَادِ

٢٤٦. وَذَاكَ مِيرَاثُ فَرَاغِ لُبِّهِ   وَفَرْعُ دُنْيَاهُ ٱلَّتِي بِقَلْبِهِ

٢٤٧. **دَوَاؤُهُ** ٱشْتِغَالُهُ بِالذِّكْرِ   وَتَرْكُ مَا لَمْ يَعْنِهِۦ مِنْ أَمْرِ

٢٤٨. فَحُسْنُ إِسْلَامِ ٱلْفَتَى مِنْهُ وَرَدْ   تَرْكُ ٱلَّذِي لَمْ يَعْنِهِۦ فِيمَا قَصَدْ

فَصْلٌ

فِي حُبِّ الطَّاعَةِ لِعِلَّةٍ وَإِظْهَارِهَا لِيَرَاهَا النَّاسُ

٢٤٩. مِنْ **عَيْبِهَا** إِظْهَارُهُ لِلطَّاعَهْ ... وَحُبُّهُ لِرُؤْيَةِ ٱلْجَمَاعَهْ

٢٥٠. لِفِعْلِهِ مُزَيِّنًا إِيَّاهُ ... لِأَجْلِ تَعْظِيمِ ٱلَّذِي يَرَاهُ

٢٥١. **دَوَاؤُهُ** تَعْظِيمُهُ لِرَبِّهِ ... إِذْ فَقْدُ ذَاكَ هُوَّ أَصْلُ عَيْبِهِ

٢٥٢. مَنْ عَرَفَ ٱلْحَقَّ رَآهُ وَحْدَهُ ... وَنَاظِرُ ٱلْغَيْرِ ٱسْتَحَقَّ بُعْدَهُ

٢٥٣. وَطَلَبَ الخَلَاصَ بِٱلْإِخْلَاصِ ... إِذْ مَا لَهُ عَنْ ذَاكَ مِنْ مَنَاصِ

٢٥٤. فَلَا يُحِبُّ ٱللَّهُ قَلْبًا مُشْتَرَكْ ... كَذَاكَ لَا يُحِبُّ فِعْلًا مُشْتَرَكْ

٢٥٥. هُوَ ٱلْغَنِيُّ مَا لَهُ شَرِيكُ ... فَلَمْ يَجُزْ فِي قَصْدِهِ التَّشْرِيكُ

٢٥٦. وَمَن يَّكُنْ فِي قَصْدِهِ يُشَارِكْ ... تَرَكَهُ وَذَلِكَ ٱلْمُشَارِكْ

٢٥٧. كَذَا أَتَى مَعْنَاهُ فِي ٱلْحَدِيثِ ... وَصَحَّ نَقْلًا لِذَوِي التَّحْدِيثِ

فَصْلٌ
فِي الطَّمَعِ فِي الخَلْقِ

٢٥٨. **مِنْ عَيْبِهَا** طَمَعُهُ فِي ٱلْخَلْقِ وَذَاكَ ضِدُّ وَرَعٍ وَصِدْقِ
٢٥٩. وَفِيهِ أَصْلُ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ وَخِدْمَةُ ٱلْعَبِيدِ وَٱلْأَحْرَارِ
٢٦٠. وَٱلْجَلْبُ لِلرِّيَاءِ والتَّصَنُّعِ وَخَيْبَةٌ تَلْحَقُهُ فِي ٱلْمَطْمَعِ
٢٦١. وَفَقْدُهُ حَلَاوَةَ ٱلْأَعْمَالِ وَرَفْضُهُ لِلْهِمَمِ ٱلْعَوَالِي
٢٦٢. فَٱلْعَبْدُ حُرٌّ دَائِمًا مَتَى قَنِعْ وَٱلْحُرُّ عَبْدٌ لِلَّذِي فِيهِ طَمِعْ
٢٦٣. وَأَصْلُهُ مِنْ شَكِّهِ فِيمَا قُسِمْ وَفَقْدُهُ الرِّضَا بِمَا لَهُ رُسِمْ
٢٦٤. **دَوَاؤُهُ** بِالتَّرْكِ وَٱلْإِعْرَاضِ عَنْ كُلِّ وَجْهٍ جَرَّ لِلْأَغْرَاضِ
٢٦٥. إِمَّا ٱكْتِفَاءً بِٱلَّذِي قَدْ قُسِمَا أَوْ رَفْعَ هِمَّةٍ لِمَا قَدْ رُسِمَا
٢٦٦. مِنْ خُلُقٍ كَرِيمَةٍ رَفِيعَهْ وَتَرْكِ مَا يَخْشَاهُ مِنْ شَنِيعَهْ
٢٦٧. قَدِ ٱسْتَعَاذَ ٱلْمُصْطَفَى مِنَ أَعْنِي ٱلَّذِي يَهْوِي بِهِ إِلَى طَبَعْ(١)
٢٦٨. وَطَمَعِ ٱلْعَبْدِ بِغَيْرِ مَطْمَعِ(٢) لِأَنَّهُ ذُلٌّ وَخِزْيٌ فَٱسْمَعِ
٢٦٩. وَقَالَ بَعْضُ سَلَفِ ٱلْإِسْلَامِ قَوْلًا صَحِيحًا شَائِعَ الإِحْكَامِ
٢٧٠. فِي طَمَعِ ٱلْعَبْدِ ٱفْتِقَارٌ حَاضِرُ مُشَاهَدٌ فِي كُلِّ حَالٍ ظَاهِرُ

---

(١) يشير إلى تعوّذ النبيِّ ﷺ بقوله: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ**، وَمِنْ طَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ». [أحمد في المسند (٢٢٠٢١) والحاكم في المستدرك (١٩٨٠)]. قال أبو عبيد: الطَّبَعُ: الدَّنَسُ والعَيْبُ، وكلُّ شَيْن في دِينٍ أو دُنْيَا فهُوَ طَبَعٌ، يقال منه: رَجُلٌ طَبِعٌ. (غريب الحديث، ج٢/ص٢١٩)

(٢) **السلميُّ**: هو الطَّمَعُ الذي يَطْبَعُ على القلبِ ويرغِّبُ في الدنيا ويزهِّدُ في الآخرة. (عيوب النفس، ص٣٢)

٢٧١. إِنْ طَمِعَ ٱلْغَنِيُّ فَهْوَ مُفْتَقِرْ		أَوْ قَنِعَ ٱلْفَقِيرُ فَهْوَ مُنْتَصِـــرْ[١]
٢٧٢. لِـعِــزِّ هَــذَا وَلِــذُلِّ هَــذَا		إِنْ لَـمْ يَـكُـنْ عِـزُّ ٱلْـغِـنَـى مَـلَاذَا
٢٧٣. إِذْ لَيْسَ إِلَّا تَـعَـبٌ وَخَـوْفُ		وَآفَــةٌ وَذِلَّـــةٌ[٢] وَحَـــيْـــفُ[٣]

(١) **السُّلميُّ**: رُوِي عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: «**الطَّمَعُ هُوَ الفَقْرُ الحَاضِرُ. وَالغَنِيُّ الطَّامِعُ فَقِيرٌ، وَالفَقِيرُ المُتَعَفِّفُ غَنِيٌّ**». (عيوب النفس، ص٣٢) **الخروبيُّ**: فالغِنى إن أنتجَ نتيجةَ الفقرِ فهو فقرٌ في الحقيقة فصاحبُهُ فقيرٌ، والفقرُ إذا أنتجَ نتيجةَ الغنى فهو غنى في الحقيقة وصاحبهُ غنيٌّ، فالمعتبَرُ في الغنى والفقرِ النتيجةُ، لا أنفسهما، فالغنيُّ الطامعُ فقيرٌ، والفقيرُ القانِعُ منتصرٌ. (الأنس، ص١٨٩)

(٢) **الخروبي**: يتبعُ ذلَّ الطمعِ: التعبُ في الدنيا بقلبهِ في انتظارِ ما هو فيه طامعٌ، وبقالَبِهِ في تردادهِ إلى من طمع فيه وخدمَتِهِ له، والخوف من الحرمانِ، ومن إعراض المطموع فيه عنه وسخطه عليه. (عيوب النفس، ص١٩١)

(٣) الحَيْفُ: الجَوْرُ والظُّلمُ. كأنه يشير إلى أن الطامعَ في الخلقِ ظالمٌ لنفسِهِ. وقال الخروبيُّ: الحيفُ: الغلبةُ والقهرُ اللاحقان بسبب الطمع الموجب لفساد الدين وضعف اليقينِ وفساد الدنيا بالحرمان والخسران. (الأنس، ص١٩١)

فَصْلٌ

فِي الحِرْصِ عَلَى تَحْصِيلِ حُطَامِ الدُّنْيَا وَالتَّكَاثُرِ مِنْهَا

٢٧٤. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْحِرْصُ عَلَى التَّكَاثُرِ		وَٱلْجَمْعُ وَٱلْمَنْعُ مَعَ التَّهَاتُرِ
٢٧٥. وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِحَالِ الدُّنْيَا		وَمَا إِلَيْهِ أَمْرُهَا فِي الأَشْيَا
٢٧٦. **دَوَاؤُهُ** ٱلْعِلْمُ بِأَنَّ جَمْعَهُ		يُبْعِدُهُ عَمَّا لَدَيْهِ نَفْعُهُ
٢٧٧. مَعْ أَنَّهُ ٱلْمُعَدُّ لِلزَّوَالِ		وَالتَّرْكِ وَالنَّقْلِ وَالٱرْتِحَالِ
٢٧٨. لَا خَيْرَ فِيمَا آلَ لِلْفَنَاءِ		مَعْ كَثْرَةِ الشَّقَاءِ وَٱلْعَنَاءِ
٢٧٩. يَا عَجَبًا لِمُؤْثِرٍ دُنْيَاهُ		وَتَارِكٍ إِيثَارَهُ أُخْرَاهُ
٢٨٠. مَعْ عِلْمِهِ بِأَنَّ هَذِي فَانِيَهْ		وَهَذِهِ دَائِمَةٌ وَبَاقِيَهْ

فَصْلٌ

فِي اسْتِحْسَانِ كُلِّ مَا يُرْتكبُ، وَالأَخْذِ بِكُلِّ مَا يُعْجِبُ

٢٨١. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱسْتِحْسَانُ مَا يَرْتَكِبُهْ ... وَأَخْذُهُ بِكُلِّ أَمْرٍ يُعْجِبُهْ

٢٨٢. وَبُعْدُهُ لِفِعْلِ مَنْ يُخَالِفُهْ ... حَتَّى يَكُنْ بِفِعْلِهِ يُؤَالِفُهْ

٢٨٣. وَذَاكَ مِنْ غَفْلَتِهِ عَن رَّبِّهِ ... وَمِنْ شُهُودِ نَفْسِهِ وَعُجْبِهِ

٢٨٤. **دَوَاؤُهُ** ٱتِّهَامُهُ لِنَفْسِهِ ... وَحُسْنُ ظَنِّهِ بِكُلِّ جِنْسِهِ

٢٨٥. وَرُؤْيَةُ ٱلْحَالِ بِعَيْنِ النَّقْصِ ... وَذِكْرُ ذَنْبِهِ ٱلَّذِي لَا يُحْصِي

فَصْلٌ

فِي إِعْطَاءِ النَّفْسِ مَا تَرْضَى وَتَهْوَى وَالانْقِيَادِ لِشَهَوَاتِهَا وَحُظُوظِهَا

٢٨٦. **مِنْ عَيْبِهَا** إِكْرَامُهُ لِنَفْسِهِ ‏ ‏ ‏ وَذَاكَ مِنْ نِسْيَانِهِ لِرَمْسِهِ

٢٨٧. **دَوَاؤُهُ** بِقِلَّةِ ٱلْمُبَالَهْ ‏ ‏ ‏ بِشَأْنِهِ حِسًّا بِكُلِّ حَالَهْ

٢٨٨. فَٱبْنُ نُجَيْدٍ قَالَ مَنْ قَدْ كَرُمَتْ ‏ ‏ ‏ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَدِينَهُ أَذَتْ[١]

٢٨٩. وَمَنْ تَهُنْ عَلَيْهِ ذَاكَ ٱلْمُكْرَمُ ‏ ‏ ‏ فِي دِينِهِ إِذْ بِالصَّلَاحِ يُوسَمُ

(١) **السُّلميُّ**: سَمِعْتُ جَدِّي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: «**مَنْ كَرُمَتْ عِنْدَهُ نَفْسُهُ هَانَ عَلَيْهِ دِينُهُ**». (عيوب النفس، ص٣٣)

فَصْلٌ

فِي الانْتِصَارِ لِلنَّفْسِ

٢٩٠. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱنْتِصَارُهُ لِنَفْسِهِ وَذَاكَ أَصْلُ فِي وُجُودِ نَكْسِهِ
٢٩١. **دَوَاؤُهُ** رُؤْيَتُهَا بِالٱحْتِقَارْ وَأَنَّهَا مُحَقَّةٌ بِكُلِّ عَارْ
٢٩٢. لِأَنَّهَا ظَلُومَةٌ غَشُومَهْ غَدَّارَةٌ مَكَّارَةٌ مَشُومَهْ
٢٩٣. تَرَى لَهَا ٱلْحَقَّ بِعَيْنِ ٱلْبَاطِلِ مَشْغُولَةٌ بِاللَّهْوِ وَٱلْأَبَاطِلِ
٢٩٤. تَرَى لَهَا ٱلْحَقَّ بِغَيْرِ حَقِّ وَتَطْلُبُ ٱلْأَمْنَ بِغَيْرِ صِدْقِ
٢٩٥. وَلَمْ يَكُنْ خَيْرُ ٱلْأَنَامِ يَنْتَقِمْ لِنَفْسِهِ لَكِنْ لِفِعْلِ مُجْتَرِمْ

فَصْلُ

فِي قَبُولِ مَدْحِ النَّاسِ وَرُؤْيَةِ النَّفْسِ بِعَيْنِ الكَمَالِ

٢٩٦. **مِنْ عَيْبِهَا** قَبُولُ مَدْحِ النَّاسِ وَالشُّغْلُ بِالرِّزْقِ مَعَ ٱلْأَنْفَاسِ

٢٩٧. وَذَاكَ مِنْ غُرُورِهِ وَغَفْلَتِهْ عَن رَّبِّهِ فِي فِعْلِهِ وَحَالَتِهْ

٢٩٨. **دَوَاؤُهُ** فِي ٱلْأَوَّلِ ٱلْمُرَاقَبَهْ وَتَرْكُ مَا يَرْجُوهُ مِنْ مُصَاحَبَهْ

٢٩٩. وَلِلْأَخِيرِ قُوَّةُ ٱلْيَقِينِ وَثِقَةٌ بِٱللَّهِ فِي السُّكُونِ

٣٠٠. قَالَ ٱلْإِمَامُ حَاتِمُ ٱلْأَصَمُّ حِكَايَةً لِمَنْ لَدَيْهِ فَهْمُ

٣٠١. يَقُولُ لِي الشَّيْطَانُ كُلَّ يَوْمِ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلْ يَا ضَعِيفَ ٱلْقَوْمِ

٣٠٢. مِنْ أَيْنَ تَلْبَسْ أَيَّ شَيْءٍ تَسْكُنُ أَقُولُ أَكْلِي ٱلْمَوْتُ لُبْسِي ٱلْكَفَنُ

٣٠٣. وَمَسْكَنِي ٱلْقَبْرُ وَذَاكَ ٱلْمُنْتَهَى عِنْدَ ذَوِي ٱلْحَزْمِ وَأَرْبَابِ النُّهَى

٣٠٤. فَلْتَسْتَرِحْ مِنْ تَعَبِ ٱلْأَعْدَاءِ وَكُلِّ مَا تَعْتَادُ مِنْ إِغْوَاءِ

فَصْلٌ

فِي تَكَاثُرِ الذُّنُوبِ وَتَعَدُّدِ السَّيِّئَاتِ

٣٠٥. **مِنْ عَيْبِهَا** التَّكْثِيرُ لِلذُّنُوبِ ... حَتَّى يُؤَثِّرْ قَسْوَةَ ٱلْقُلُوبِ

٣٠٦. **دَوَاؤُهُ** كَثْرَةُ ٱلِاسْتِغْفَارِ ... وَتَوْبَةٌ تَذْهَبُ بِٱلْإِصْرَارِ

٣٠٧. وَصُحْبَةُ ٱلْأَخْيَارِ وَالصُّيَّامِ ... ثُمَّ حُضُورُ الذِّكْرِ وَالقِيَامِ

٣٠٨. فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَبِٱلْأَسْحَارِ ... لِلذِّكْرِ وَالدُّعَا وَالِاسْتِغْفَارِ

٣٠٩. وَلَا يُفِيدُ فِيهِ ذِكْرُ ٱلْجَمْعِ ... مَا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بِأَهْلِ ٱلْجَمْعِ

٣١٠. وَلَا الصِّيَامُ دُونَ صَمْتٍ ... وَلَا ٱلْقِيَامُ دُونَ صِدْقٍ وَٱبْتِهَالْ

٣١١. ثُمَّ كَذَاكَ صُحْبَةُ ٱلْأَخْيَارِ ... إِلَّا بِالِاحْتِرَامِ وَٱلْإِبْرَارِ

٣١٢. وَقَدْ شَكَا لِلْمُصْطَفَى[1] إِنْسَانُ ... قَسْوَةَ قَلْبٍ شَأْنُهُ ٱلْعِصْيَانُ

٣١٣. قَالَ: ٱدْنِهِ لِلذِّكْرِ كَيْ يَزُولَا ... مَا حَلَّهُ وَيَقْتَفِي قَبُولَا

٣١٤. وَقَالَ: مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا نَكَتَا ... فِي قَلْبِهِ سَوَادُهُ وَثَبَتَا

٣١٥. فَإِنْ يَتُبْ مِنْ ذَاكَ أَوْ يَسْتَغْفِرُ ... زَالَ ٱلَّذِي نَكَتَهُ إِذْ يُغْفَرُ

٣١٦. وَإِن يَّكُنْ فِي غَيِّهِ تمَادَى ... فَنَكْتُهُ يَزِيدُهُ سَوَادَا

٣١٧. حَتَّى يَصِيرَ ٱلْقَلْبُ لَيْسَ يَعْرِفُ ... النُّكْرَ وَٱلْمَعْرُوفَ بَلْ يُحَرِّفُ

٣١٨. ثُمَّ تَلَا لَهُ إِمَامُ ٱلْعَارِفِينْ ... مَا قَدْ أَتَى فِي سُورَةِ المُطَفِّفِينْ

٣١٩. مِنْ ذِكْرِ رَانٍ وَاقِعٍ فِي ٱلْقَلْبِ ... مُكْتَسَبٍ مِنِ ٱرْتِكَابِ الذَّنْبِ

---

(١) الصواب أن رجلا شكا للحسن البصري ذلك قائلا: أَشْكُو إليك قَسْوَة قَلْبِي. فقال: أَدْنِهِ مِنَ الذِّكْر. (اعتلال القلب للخرائطي، ص٣٤) والناظم تبع الإمامَ السلمي في عزوه للنبي ﷺ.

فَصْلٌ

فِي ذِكْرِ دَقَائِقِ العُلُومِ لِاسْتِمَالَةِ أَنْفُسِ العَامَّة

٣٢٠. **مِنْ عَيْبِهَا** ذِكْرُ دَقِيقِ ٱلْعِلْمِ ... وَٱلْخَوْضُ فِيهِ بِدَقِيقِ ٱلْفَهْمِ

٣٢١. كَيْ يَسْتَمِيلَ أَنْفُسَ ٱلْأَغْمَارِ ... وَيَكْتَسِبْ جَاهًا عَلَى ٱسْتِمْرَارِ

٣٢٢. وَذَاكَ مِنْ إِيثَارِهِ دُنْيَاهُ ... وَتَرْكِهِ مَا يَرْتَضِي مَوْلَاهُ

٣٢٣. **دَوَاؤُهُ** عَمَلُهُ بِوَعْظِهِ ... لِيُنْتَفَعْ بِقَوْلِهِ وَلَحْظِهِ

٣٢٤. بِأَن يَّكُونَ تَارِكًا دُنْيَاهُ ... وَمُؤْثِرًا فِي حَالِهِ مَوْلَاهُ

٣٢٥. قَدْ أَمَرَ ٱللَّهُ ٱلْمَسِيحَ ٱلْمُرْتَضَى ... أَن يَّبْتَدِي بِنَفْسِهِ إِنْ وَعَظَا

٣٢٦. فَإِنْ تَكُنْ بِوَعْظِهِ مُتَّعِظَهْ ... أَوْ لِيَتُبْ وَيَسْتَحِي مِنَ ٱلْعِظَهْ

٣٢٧. وَٱلْمُصْطَفَى فِي لَيْلَةِ ٱلْإِسْرَاءِ ... رَأَى ٱلَّذِي قَدْ حَلَّ بِٱلْخُطَبَاءِ

٣٢٨. شِفَاهُهُمْ تُقْرَضُ بِالنِّيرَانِ ... لِلْأَمْرِ بِٱلْبِرِّ بِلَا إِتْيَانِ

٣٢٩. أَتَأْمُرُونَ قَدْ أَتَى فِي «ٱلْبَقَرَهْ» ... فِي آيَةٍ زَاجِرَةٍ مُذَكِّرَهْ

فَصْلٌ

فِي سُرُورِ النَّفْسِ بِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنْ أَغْرَاضِهَا وَشَهَوَاتِهَا

٣٣٠. **مِنْ عيْبِهَا** سُـــرُورُهَا وَٱلْفَرَحُ   وَطَـلَـبُ الـرَّاحَـةِ وَهْـيَ تَـمْـرَحُ
٣٣١. وَذَاكَ مِنْ رِضَـــاهُ عَنْهَا أَبَدَا   وَعَـدَمُ ٱتِّـهَـامِـهَـا فِـيـمَـا بَـدَا
٣٣٢. **دَوَاؤُهُ** ٱسْـــتِيقَاظُهُ مِنْ غَفْلَتِهْ   لِأَنَّ ذَاكَ هُـوَّ أَصْـــلُ عِـلَّـتِـهْ
٣٣٣. وَذِكْرُهُ تَـقْصِـــيرَهُ وَزَلَلَـهْ   وَكُـلَّ نَـهْـيٍ كَـانَ فِـيـهِ عَـمِـلَـهْ
٣٣٤. وَذِكْرُ مَـا بَـيْـنَ يَـدَيْـهِ آتِ   مِـنْ أَمْـرِ أُخْـرَاهُ بِـلَا ٱنْـفِـلَاتِ
٣٣٥. قَالَ الرَّسُولُ هاذِ سِجْنُ ٱلْمُؤْمِنِ   وَجَـنَّـةُ ٱلْـكَـافِـرِ طُـولَ الـزَّمَـنِ
٣٣٦. وَالسِّـجْنُ فَٱعْلَمْ لَيْسَ فِيهِ مَرَحُ   وَإِنَّـمَـا فِـيـهِ ٱلْأَذَى وَالـتَّـرَحُ
٣٣٧. وَقَـالَ دَاوُودُ ٱلْإِمَـامُ الطَّـائِي   كَـلِـمَـةً عَـظِـيـمَـةَ ٱلْإِنْـبَـاءِ
٣٣٨. قَطْعُ قُلُوبِ ٱلْعَـارِفِينَ أَبَـدَا   بِـذِكْرِهِمْ إِحْـدَى ٱلْخُلُودَيْنِ غَـدَا
٣٣٩. وَقَالَ بِشْـــرٌ لِلَّذِي قَدْ سَـــأَلَهْ   مَـا لَـكَ مَهْمُومًـا جَوَابًـا اَجْمَلَـهْ
٣٤٠. لِأَنَّنِي فِي حَـالَتِي مَطْلُوبُ   وَذَا جَـوَابٌ جَـامِـعٌ مُّصِـــيـبُ

فَصْلٌ

فِي اتِّبَاعِ العَبْدِ هَوَى نَفْسِهِ وَسَعْيِهِ لِمَا فِيهِ رِضَاهَا

٣٤١. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱتِّبَاعُهُ هَوَاهَا وَسَعْيُهُ لِمَا بِهِ رِضَاهَا

٣٤٢. وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِهَا وَبِٱلْمَآلْ وَأَصْلُهُ إِهْمَالُهَا بِكُلِّ حَالْ

٣٤٣. **دَوَاؤُهُ** إِيثَارُهُ مَوْلَاهُ وَشُغْلُهُ بِكُلِّ مَا يَرْضَاهُ

٣٤٤. وَتُهْمَةُ النَّفْسِ عَلَى الدَّوَامِ وَقَهْرُهَا فِي سَائِرِ ٱلْأَيَّامِ

٣٤٥. لِأَنَّهَا أَمَّارَةٌ ذَاتُ هَوَى مُؤْثِرَةٌ لِكُلِّ غَيْرٍ[1] وَسِوَى

٣٤٦. وَقَدْ رُوِي عَمَّنْ عُرِفْ بِٱلْقَارِي نَحْتُ ٱلْجِبَالِ قَالَ بِٱلْأَظْفَارِ

٣٤٧. أَيْسَرُ مِنْ خِلَافِهَا هَوَاهَا مَهْمَا يَكُنْ قَدْ حَلَّ فِي قُوَاهَا

٣٤٨. ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ قَدْ أَتَى فِي الجَاثِيَهْ إِشَارَةٌ لِمَا ذَكَرْنَا كَافِيَهْ

٣٤٩. فَلْتَعْتَصِمْ بِٱللَّهِ مِنْ هَوَاكَا وَلْتَحْتَرِزْ مِنْ شَرِّ مَا ٱعْتَرَاكَا

---

(١) خ: غَيٍّ.

فَصْلٌ

فِي إِيثَارِ المُخَالَطَةِ الَّتِي تُرْدِي وَلَا تُجْدِي

٣٥٠. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْإِيثَارُ لِلْمُعَاشَـــرَهْ وَصُـــحْبَـةُ ٱلْأَقْرَانِ وَالمُظَـاهَـرَهْ

٣٥١. وَذَاكَ مِنْ أُنْسٍ بِهَـذَا ٱلْعَـالَمِ وَفَـقْـدِ ذِكْـرٍ لِـلْـفِـرَاقِ الـلَّازِمِ

٣٥٢. **دَوَاؤُهُ** ٱلْعِلْمُ بِأَنَّ الصَّـــاحِبْ مُـــفَـــارِقٌ وَزَائِــــلٌ وَذَاهِـــبْ

٣٥٣. قَدْ قَالَ جِبْرِيلُ لِخَيْرِ ٱلْمُرْسَلِينْ ثَـلَاثَـةٌ لِـكُـلِّ لُـبٍّ تَسْـــتَـبِـيـنْ

٣٥٤. عِشْ لِلَّذِي شِـــئْتَ فَأَنْتَ مَيِّتُ وَحِـبَّ مَنْ شِـــئْـتَ فَلَيْسَ يَثْبُتُ

٣٥٥. وَٱعْمَلْ مَا شِـــئْتَ بِهِ تُجَازَى إِذْ كُـلُّ شَـــخْصٍ فِعْلَـهُ يُجَـازَى

٣٥٦. قَالَ الحَكِيمُ حِكْمَةً مِصْـــدَاقَهْ فِي المَـالِ وَٱلْخُلْطَـةِ وَالصَّـــدَاقَـهْ

٣٥٧. كُـلُّ عَـدُوٌّ غَيْرَ مَنْ صَـــافَيْتَا وَٱلْمَـالُ حَسْـــرَةٌ سِـــوَى وَاسَـــيْتَا

٣٥٨. وَٱلْخُلْطَـةُ التَّخْلِيطُ مِنَّا فِيهَا(١) مَـا لَـمْ تَـكُـنْ مُـدَارِيًـا سَـــفِـيهَـا

٣٥٩. فَلْتَقْتَصِـدْ فِي صُـحْبَةِ ٱلْأَخْيَارِ وَلْتَحْتَرِزْ مِنْ صُـــحْبَـةِ ٱلْأَشْـــرَارِ

---

(١) أي: حظنا من الخلطة التخليط ما لم تكن منا مداراة للسفهاء.

فَصْلٌ

فِي الاسْتِئْنَاسِ بِالطَّاعَةِ وَالقُنُوعِ بِهَا

٣٦٠. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱسْـتِئْنَاسُـهُ بِطَاعَتِهْ وَرُؤْيَـةُ ٱلْأَعْمَـالِ مِنْ بِضَـاعَتِـهْ

٣٦١. وَذَاكَ مِنْ فُقْـدَانِـهِ ٱلْبَصِـيرَهْ وَعَـدَمِ التَّحْقِيقِ فِي السَّـرِيرَهْ

٣٦٢. **دَوَاؤُهُ** نَـظَـرُهُ لِـعِـلَـلِـهْ وَذِكْـرُ مَـا ٱرْتَـكَـبَـهُ مِـنْ زَلَـلِـهْ

٣٦٣. حَتَّى يَرَى ٱحْتِقَـارَ مَا لَـدَيْـهِ فَـلَا يُـعَـوِّلْ دَائِـمًـا عَـلَـيْـهِ

٣٦٤. وَيَـنْظُرُ التَّوْفِيـقَ مِنْ مَوْلَاهُ فَيَشْـتَغِـلْ بِشُـكْـرِ مَـا أَوْلَاهُ

٣٦٥. وَيَتْرُكُ ٱلْأَعْوَاضَ وَٱلْأَغْرَاضَـا وَيَكْتَسِـبْ عَنْ نَفْسِـهِ إِعْرَاضَـا

فَصْلٌ

فِي تَمْكِينِ النَّفْسِ مِنَ الهَوَى

٣٦٦. **مِنْ عَيْبِهَا** تَمْكِينُهَا مِنَ ٱلْهَوَى … حَتَّى تَعُوقَ ٱلْعَبْدَ عَمَّا قَدْ نَوَى

٣٦٧. وَذَاكَ مِنْ غَفْلَتِهِ وَهَفْوَتِهْ … وَفَقْدِهِ ٱسْتِيقَاظَهُ فِي حالَتِهْ

٣٦٨. **دَوَاؤُهُ** فِي مَنْعِهَا مُرَادَهَا … وَتَرْكِهِ لِمَا لَهُ ٱسْتِعْدَادَهَا

٣٦٩. وَأَخْذُهَا بِٱلْحَزْمِ وَٱلْإِكْرَاهِ … مَعَ ٱجْتِنَابِ جُمْلَةِ ٱلْمَلَاهِي

٣٧٠. قَالَ أَبُو حَفْصٍ هُوَ ٱلْحَدَّادُ … كَلِمَةً لِمِثْلِنَا تُرَادُ

٣٧١. مَهْمَا تَمِلْ لِأَمْرٍ خُذْ خِلَافَهْ … لِأَنَّهَا مَوْضِعُ كُلِّ آفَهْ

فَصْلٌ

فِي الأَمْنِ مِنَ الوَسْوَاسِ

٣٧٢. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْأَمْنُ مِنَ ٱلْوَسْوَاسِ ... وَغَفْلَةٌ عَمَّا لَهُ مِنْ بَاسِ
٣٧٣. أَوْ أَخْذُهُ بِهِ بِلَا ٱنْتِهَاءِ ... وَذَاكَ مِنْ عَلَامَةِ الشَّقَاءِ
٣٧٤. **دَوَاؤُهُ** فِي صِحَّةِ ٱلْإِيمَانِ ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ ٱلْقُرْآنِ
٣٧٥. إِذْ مَنَعَ ٱلْمَوْلَى ٱلْكَرِيمُ ذُو ٱلْعُلَا ... مِنَ الضَّلَالِ مُؤْمِنًا تَوَكَّلَا
٣٧٦. وَجَعَلَ ٱلْغَيَّ لِمَنْ تَوَلَّى ... شَيْطَانَهُ بِشِرْكِهِ فَزَلَّا
٣٧٧. وَصَارَ فِي عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ ... مَعْ ظَنِّهِ عِبَادَةَ الرَّحْمَانِ
٣٧٨. فَلْتَعْتَصِمْ بِٱللَّهِ مِنْ وَسْوَاسِ ... مُجْتَنِبًا لِجُمْلَةِ ٱلْأَدْنَاسِ

فَصْلٌ

فِي التَّظَاهُرِ بِالْخُشُوعِ

٣٧٩. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْإِظْهَارُ لِلْخُشُوعِ وَبِالصَّلَاحِ الظَّاهِرِ ٱلْمَوْضُوعِ

٣٨٠. دُونَ تَحَقُّقٍ وَذَا نِفَاقُ صَاحِبُهُ لَيْسَ لَهُ خَلَاقُ

٣٨١. **دَوَاؤُهُ** فِي الصِّدْقِ وَٱلْإِخْلَاصِ وَتَرْكُهُ لِجُمْلَةِ ٱلْمَعَاصِي

٣٨٢. إِذْ مَنْ تَشَبَّعَ بِمَا لَا يَمْلِكُ كَلَابِسٍ لِثَوْبِ زُورٍ يُشْرِكُ

٣٨٣. جَاءَ بِمَعْنَاهُ الرَّسُولُ الصَّادِقْ فَٱعْمَلْ بِهِ إِنْ كُنْتَ عَبْدًا صَادِقْ

فَصْلٌ

فِي الاغْتِرَارِ بِحِلْمِ اللهِ تَعَالَى

٣٨٤. **مِنْ عَيْبِهَا** قِلَّةُ الِاعْتِبَارِ ... بِحِلْمِ مَوْلَانَا عَنِ ٱلْأَوْزَارِ
٣٨٥. وَذَاكَ لِٱغْتِرَارِهِ بِحِلْمِهِ ... وَفَقْدِهِ نَظَرَهُ لِعِلْمِهِ
٣٨٦. **دَوَاؤُهُ** خَشْيَتُهُ لِرَبِّهِ ... لِكَي يَنَلْ مِنْهُ عَظِيمَ قُرْبِهِ
٣٨٧. وَأَن يَرَى تَأْخِيرَهُ إِمْهَالْ ... وَلَا يَظُنَّ أَنَّهُ إِهْمَالْ
٣٨٨. لَا بُدَّ مِنْ سُؤَالِهِ فِي ٱلْحَافِرَهْ ... وَبَعْدَهُ جَزَاؤُهُ فِي ٱلْآخِرَهْ
٣٨٩. فَإِن يَكُنْ بِذَنْبِهِ يُجَازَى ... فَوَيْلُهُ وَكُلَّ شَرٍّ حَازَا
٣٩٠. وَإِن يَكُنْ يَرْحَمُهُ مَوْلَاهُ ... فَفَضْلُهُ وَجُودَهُ أَوْلَاهُ
٣٩١. فَلْيَخَفِ ٱلْعَبْدُ قِيَامَ ٱلْعَدْلِ ... وَلْيَرْتَجِي أَيْضًا نَوَالَ ٱلْفَضْلِ
٣٩٢. إِذْ لَا صَغِيرَ إِنْ أَتَاكَ ٱلْعَدْلُ ... وَلَا كَبِيرَ إِنْ أَتَاكَ ٱلْفَضْلُ
٣٩٣. وَقَالَ شَاعِرٌ مَّقَالًا حَسَنَا ... لِمَا ذَكَرْنَا مُوضَحًا مُبَيَّنَا
٣٩٤. قَدْ غَرَّهَا إِمْهَالُ خَالِقٍ لَهَا ... لَا تَحْسِبَنْ إِمْهَالَهُ إِهْمَالَهَا

فَصْلٌ

فِي إِفْشَاءِ الأَسْرَارِ وَعَدَمِ حِفْظِ الأَمَانَةِ

٣٩٥. **مِنْ عَيْبِهَا** إِفْشَاءُ سِرِّ الصَّاحِبِ وَهْـيَ خِـيَـانَـةٌ وَتَـرْكُ وَاجِـبِ

٣٩٦. وَذَاكَ مِنْ خَسَـاسَـةٍ وَنَقْصِ فَـاعِـلُـهُ مَـذْمُـومٌ وَهْـوَ يَـعْـصِـي

٣٩٧. **دَوَاؤُهُ** رُجُـوعُـهُ لِـنَـفْـسِـهِ فَمَـا يُـرِدْ لَهَـا يُـرِدْ لِجِنْسِـهِ

٣٩٨. إِذ ذَاكَ شَرْطُ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَتَى وَصَـحَّ مَعْنًى فِي حَـدِيـثٍ ثَبَتَـا

فَصْلٌ

فِي عَدَمِ الزِّيَادَةِ فِي فِعْلِ الطَّاعَاتِ

٣٩٩. **مِنْ عَيْبِهَا** رِضَـاهُ عَنْهَا فِي ٱلْعَمَلْ وَعَـدَمُ ٱزْدِيَـادِهِ لِـمَـا فَـعَـلْ

٤٠٠. وَذَاكَ مِنْ هِمَّتِهِ ٱلْخَسِـيسَـهْ وَتَـرْكِـهِ لِـلْـحَـالَـةِ الـنَّـفِـيسَـهْ

٤٠١. **دَوَاؤُهُ** فِـي طَـلَـبِ الـزِّيَـادَهْ فِي ٱلْبَحْثِ وَٱلْحِرْصِ وَالِاسْـتِفَادَهْ

٤٠٢. قَالَ عَلِيٌّ ٱلْمُرْتَضَـى ٱلْعَدْنَانِ مَن لَّمْ يَزِدْ فَهُوَّ فِي نُقْصَـانِ

٤٠٣. قَالُوا ثَبَاتُ ٱلْمَرْءِ فِي أَعْمَالِهِ زِيَـادَةٌ لَـدَيْـهِ فِـي أَفْـعَـالِـهِ

٤٠٤. لِأَنَّ مَـا أَتَى بِـهِ مِنَ ٱلْغَـدِ مُضَـعَّفٌ لِمَـا مَضَـى مِنْ عَـدَدِ

فَصْلٌ
فِي التَّكَبُّرِ وَاحْتِقَارِ المُسْلِمِينَ

٤٠٥. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱحْتِقَارُهُ لِلْمُسْــلِمِينْ وَكِبْرُهُ عَلَى جَمِيعِ ٱلْعَـالَمِيـنْ
٤٠٦. وَذَاكَ مِنْ جَهَـالَـةٍ بِـالنَّفْسِ وَسُـــوءِ فِعْـلٍ مُّوجِـبٍ لِّلَّبْسِ
٤٠٧. **دَوَاؤُهُ** الرُّجُوعُ لِلتَّوَاضُـــعِ ثُـمَّ ٱحْـتِـرَامُ مُـذْنِـبٍ وَطَـائِـعِ
٤٠٨. مِنْ كُلِّ مَن يَّدِينُ بِٱلْإِسْــلَامِ كَـانَ كَـبِـيـرًا أَوْ بِـلَا ٱحْـتِـلَامِ
٤٠٩. وَرَبُّـنَـا نَـبِـيَّـهُ قَـدْ أَمَـرَهْ بِـٱلْعَفْوِ وَٱسْــتِغْفَـارٍ وَٱلْمُشَــــاوَرَهْ
٤١٠. وَنَظَرَ الرَّسُـــولُ نَحْوَ ٱلْكَعْبَـةِ مُعَـظِّـمًـا لِـمَـا لَـهَـا مِـنْ حُـرْمَـةِ
٤١١. فَقَـالَ مَـا لِلْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ عِــنْــدَ ٱلْإِلَــهِ حُــرْمَــةً وَأَكْــرَمُ
٤١٢. إِذْ حَرَمَ ٱللَّـهِ لَـدَيْـكَ وَاحِـدَهْ وَٱلْـمُـؤْمِـنُـونَ بِـٱثْـنَـتَـيْـنِ زَائِـدَهْ
٤١٣. دَمًـا وَمَـالًا ثُمَّ ظَنُّ السَّـــوِّ فَـٱنْـظُـرْ لِـهَـذَا وَلِـخَـيْـرٍ فَـٱنْـوِ
٤١٤. فَكُنْ لَبِيبًـا حَـازِمًـا يَقْظَـانَـا وَلَا تَـكُـنْ فِـرْعَـوْنَ أَوْ شَـــيْطَـانَـا

فَصْلٌ

فِي الكَسَلِ وَالتَّقَاعُدِ عَنْ أَدَاءِ الوَاجِبَاتِ

٤١٥. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْكَسَـــلُ وَٱلْقُعُودُ   عَنْ أَمْرِ مَوْلًى فَضْـــلُـهُ مَمْـدُودُ
٤١٦. وَذَاكَ مِنْ جَهْـلٍ بِمَـا لَـدَيْـهِ   وَفَــقْــدِهِ تَــوَجُّــهًــا إِلَــيْــهِ
٤١٧. **دَوَاؤُهُ** نَــظَــرُهُ لِــرَبِّـــهِ   لِتَنْشَـــطَ النَّفْسُ بِـذِكْرِ قُرْبِـهِ
٤١٨. فَٱبْنُ نُجَيْدٍ قَالَ قَوْلًا حَسَــنَا   مُـتَّـجِـهًـا مُـحَـقَّـقًـا مُـبَـيَّـنَـا
٤١٩. تَـهَـاوُنُ ٱلْـعَـبْـدِ بِـأَمْرِ رَبِّـهِ   لِـفَـقْـدِهِ عِـرْفَـانَـهُ مِـنْ قَـلْـبِـهِ

فَصْلٌ

فِي التَّظَاهُرِ بِفِعْلِ الخَيْرِ

٤٢٠. **مِنْ عَيْبِهَا** إِظْهَارُ فِعْلِ ٱلْخَيْرِ وَفِعْلُهُ بِعَكْسِهِ فِي السِّرِّ
٤٢١. وَذَاكَ مِنْ غَلَبَةِ الرِّيَاءِ وَحُبِّهِ لِلْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ
٤٢٢. **دَوَاؤُهُ** إِصْلَاحُهُ السَّرِيرَهْ وَتَوْبَةٌ يَمْحُو بِهَا الجَرِيرَهْ
٤٢٣. وَٱلْعِلْمُ أَنَّ رَبَّهُ يَرَاهُ فِي كُلِّ حَالٍ دَائِمًا يَنْهَاهُ
٤٢٤. قَالَ الرَّسُولُ وَهْوَ قَوْلٌ ظَاهِرْ كَفَى ٱلْفَتَى شَرًّا بِقَلْبٍ فَاجِرْ
٤٢٥. وَهْوَ يُرِي خَشْيَةَ رَبِّ النَّاسِ لِلْخَلْقِ بِالرِّيَا وَالِالْتِبَاسِ
٤٢٦. قَالَ أَبُو عُثْمَانَ أَعْنِي الحِيرِي خُشُوعٌ ظَاهِرٌ مَعَ ٱلْفُجُورِ
٤٢٧. بِبَاطِنٍ يُوَرِّثُ ٱلْإِصْرَارَا فَيَطْمِسُ ٱلْأَضْوَاءَ وَٱلْأَنْوَارَا
٤٢٨. وَذَاكَ مَحْضُ ٱلْخُبْثِ وَالنِّفَاقِ يُضِرُّ فِي الدِّينِ وَفِي ٱلْأَخْلَاقِ

فَصْلٌ

فِي تَضْيِيعِ الأَوْقَاتِ وَعَدَمِ تَدَارُكِ مَا فَاتَ مِنْ أَدَاءِ الوَاجِبَاتِ

٤٢٩. **مِنْ عَيْبِهَا** تَضْــيِيعُـهُ أَوْقَـاتَـهُ ... بِـٱلْخَوْضِ فِي الـدُّنْيَا وَمَا قَـدْ فَـاتَـهُ

٤٣٠. وَذَاكَ مِنْ جهَـالَـةٍ بِـٱلْوَقْـتِ ... وَمَـا لَـهُ مِـنْ عِـزَّةٍ وَثَـبْـتِ

٤٣١. **دَوَاؤُهُ** ٱهْـتِـمَـامُـهُ بِـوَقْـتِـهِ ... وَذِكْـرُهُ فِـيـهِ هُـجُـومَ مَـوْتِـهِ

٤٣٢. أَعَزُّ شَـــيْءٍ وَقْتُنَا مَتَى ذَهَبْ ... بِغَيْرِ شُـــغْـلٍ فَـاتَنَـا مِنْـهُ ٱلْأَرَبْ

٤٣٣. ثُمَّ يَعُودُ حَسْــرَةً فِي ٱلْآخِرَهْ ... وَظُلْمَـةً فِي ٱلْقَلْـبِ ثُمَّ ٱلْحَـافِرَهْ

٤٣٤. وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تَشْـتَغِلْ بِٱلْخَيْرِ ... أَشْـــغَلَـتِ ٱلْمَرْءَ بِكُـلِّ شَـــرِّ

٤٣٥. فَلْتَحْـذَرِ النَّفْسَ أَتَّمَ ٱلْحَـذْرِ ... فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ وَزَمَـانٍ يَّـجْـرِي

فَصْلٌ
فِي شِدَّةِ الغَضَبِ

٤٣٦. **مِنْ عَيْبِهَا** شِـــدَّتُهُ فِي غَضَـــبِهْ وَذَاكَ أَمْــرٌ آيِــلٌ لِــعَــطَــبِــهْ
٤٣٧. لِأَنَّـهُ مِفْتَـاحُ نَصْـــرِ نَفْسِـــهِ وَبُعْـدِهِ عَنْ ضَـــبْطِـهِ لِحِسِّـــهِ
٤٣٨. وَأَصْـــلُـهُ مِنْ عِزَّةٍ فِي النَّفْسِ وَرُؤْيَـةِ ٱلْـحَقِّ لَـهَـا فِي ٱلْـجِنْسِ
٤٣٩. **دَوَاؤُهُ** ٱسْتِعْمَالُهُ وَصْفَ الرِّضَـا وَرَدُّهُ النَّـفْسَ لِأَحْكَـامِ ٱلْقَضَـــا
٤٤٠. حَتَّى تَلِينَ لِجَمِيعِ ٱلْخَلْقِ وَتَـنْـطَـبِـعْ إِلَـى ٱتِّـبَـاعِ ٱلْـحَـقِّ
٤٤١. قَـالَ الرَّسُـــولُ لِلَّـذِي أَتَـاهُ لَا تَغْضَـــبَنَّ عِنْدَمَا ٱسْـــتَوْصَـــاهُ
٤٤٢. إِذْ غَضَـــبُ ٱلْمَرْءِ إِلَى ٱلْهَلَاكِ يَـجُـرُّهُ بِـقَصْـــدِ ٱلِاسْـــتِهْـلَاكِ

فَصْلٌ

فِي رَذِيلَةِ الكَذِبِ

٤٤٣. **مِنْ عَيْبِهَا** الكَذِبُ فِي ٱلْأَخْبَارِ وَذَاكَ مِـنْ خَسَـــاسَــــةٍ وَعَـارِ
٤٤٤. إِذْ لَا يُرَى الكَذَّابُ إِلَّا مُطَّرَحْ لَـيْـسَ لَـهُ حَـظٌّ وَلَا بِـهِ فَـرَحْ
٤٤٥. **دَوَاؤُهُ** ٱلْعِلْمُ بِقُبْحِ ٱلْكَـذِبِ وَأَنَّـهُ مُـوَصِّــلٌ لِـلْـعَـطَـبِ
٤٤٦. فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَعِنْدَ النَّاسِ بِـالـذُّلِّ وَالصَّـغَـارِ وَٱلْإِفْـلَاسِ
٤٤٧. وَقَـدْ يُرَدْ لِطَلَـبِ التَّبَـاهِي وَرَفْضُـهُ بِقَصْـدِ وَجْـهِ ٱللَّـهِ
٤٤٨. وَتَرْكُ قَصْـدِ النَّاسِ بِٱلْكَلَامِ إِذْ قَـدْ أَتَـى عَـنْ سَـيِّـدِ ٱلْأَنَـامِ
٤٤٩. الصِّـدْقُ يَهْدِي لِعَظِيمِ ٱلْبِرِّ وَٱلْـبِـرُّ يَـهْـدِي لِـلْـجِـنَـانِ فَـٱدْرِ
٤٥٠. وَكَـذِبٌ يَهْـدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ وَذَاكَ بَـابُ ٱلْـوَيْـلِ وَالـثُّـبُـورِ

فَصْل

فِي رَذِيلَتَي الشُّحّ وَالبُخْل

٤٥١. **مِنْ عَيْبِهَا** الشُّحُّ كَذَاكَ ٱلْبُخْلُ ... وَحُبُّ دُنْيَاهُ لِذَاكَ أَصْلُ

٤٥٢. وَكُلُّهُ مِنْ غَالِبِ ٱلْأَوْهَامِ ... وَالنَّقْصِ فِي ٱلْيَقِينِ وَالأَفْهَامِ

٤٥٣. **دَوَاؤُهُ** ٱلْعِلْمُ بِأَصْلِ الدُّنْيَا ... وَأَنَّهَا قَلِيلَةٌ فِي ٱلْمَحْيَا

٤٥٤. خَسِيسَةٌ[1] حَلَالُهَا حِسَابُ ... زَائِلَةٌ حَرَامُهَا عِقَابُ

٤٥٥. مَا مَنَحَتْ خَلِيلَهَا وِدَادَا ... وَلَا أَنَالَتْ صَاحِبًا مُّرَادَا

٤٥٦. صَاحِبُهَا ٱلْمَمْقُوتُ عِنْدَ ٱلْخَلْقِ ... وَهْوَ ٱلْبَعِيدُ مِنْ بِسَاطِ ٱلْحَقِّ

٤٥٧. وَبُخْلُهُ مُصِيبَةٌ عَظِيمَهْ ... رَذِيلَةٌ قَبِيحَةٌ ذَمِيمَهْ

٤٥٨. مَنْشَؤُهُ ٱلْأَصْلِيُّ خَوْفُ ٱلْفقْرِ ... وَضَعْفُ إِيمَانٍ بِأَصْلِ[2] ٱلْأَمْرِ

٤٥٩. وَتُهْمَةٌ لِقِسْمَةِ ٱلرَّزَّاقِ ... دُونَ الرِّضَى بِٱلْوَاحِدِ ٱلْخَلَّاقِ

٤٦٠. إِذْ مَنْعُهُ لِلْحَاضِرِ ٱلْمَوْجُودِ ... مِنْ سُوءِ ظَنٍّ كَانَ بِٱلْمَعْبُودِ

٤٦١. قَالَ الرَّسُولُ أَنْفَقِنْ بِلَالَا ... وَلَا تَخَفْ مِن رَّبِّنَا إِقْلَالَا

٤٦٢. وَقَالَ[3] كُلُّ زَلَّةٍ وَإِثْمِ ... مِنْ حُبِّ دُنْيَانَا فَكُنْ ذَا فَهْمِ

٤٦٣. بِأَنْ تُرَى فِي حَلْبَةِ السُّبَّاقِ ... بِٱلْقَصْدِ فِي ٱلْعَطَاءِ وَٱلْإِنْفَاقِ

٤٦٤. إِذْ لَيْسَ فِي ٱلْإِسْرَافِ وَٱلْإِقْتَارِ ... خَيْرٌ وَلَا بِرٌّ وَعُرْفٌ[4] جَارِ

---

(١) خ: فَانِيَةٌ.

(٢) خ: وَسُوءُ ظَنٍّ بِالكَرِيمِ البَرِّ.

(٣) خ: وَرَأْسُ.

(٤) خ: فَلَيْسَ فِي الإِقْتَارِ وَالإِسْرَافِ :: وَصْفٌ يُرَى مِنْ شِيَمِ الأَشْرَافِ

فَصْلٌ

فِي نِسْيَانِ قُرْبِ الأَجَلِ

٤٦٥. **مِنْ عَيْبِهَا** فِي حَالِهَا بُعْدُ ٱلْأَمَلْ ... وَذَاكَ مِنْ نِسْيَانِهَا قُرْبَ ٱلْأَجَلْ
٤٦٦. وَأَصْلُهُ مِنْ شُغْلِهَا بِالدُّنْيَا ... وَخَبْطِهَا مَعَ ٱعْتِمَادِ ٱلْمَحْيَا
٤٦٧. **دَوَاؤُهُ** دَوَامُ ذِكْرِ ٱلْمَوْتِ ... وَٱلْجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ خَوْفَ ٱلْفَوْتِ
٤٦٨. فَمَن مَّشَى فِي غَبْرَةِ ٱلْآمَالِ ... عِثَارُهُ فِي شَرَكِ[1] ٱلْآجَالِ
٤٦٩. وَسَتَرَى إِذَا ٱنْجَلَى ٱلْغُبَارُ ... أَفَرَسٌ تَحْتَكَ أَمْ حِمَارُ
٤٧٠. وَقَالَ بَعْضُ سَلَفِ ٱلْأَنَامِ ... قَوْلًا صَحِيحًا وَاضِحَ ٱلْأَحْكَامِ
٤٧١. أَحَبَّ رَبِّي أَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ ... بِكُلِّ حَالٍ فَٱحْذَرُوهُ تَأْمَنُوا
٤٧٢. وَآمِنُ ٱلْمَكْرِ فَذَاكَ خَاسِرُ ... وَخَائِفُ ٱلْمَكْرِ لَبِيبٌ ظَافِرُ

(١) يشير إلى قول بعض السلف: «**مَنْ مَشَى فِي غُبَارِ أَمَلِهِ عَثَرَ فِي شِكَالِ أَجَلِهِ**». كذا أورده الإمام زروق في بعض شروحه على الحكم وهما الثاني والثالث. والشِّكَالُ: العِقَالُ والحَبْلُ كما في الصحاح للجوهري.

فَصْلٌ

فِي الاغْتِرَارِ بِمَدْحِ غَيْرِ الحَقِّ

٤٧٣. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱغْتِرَارُهُ بِٱلْمَدْحِ   بِغَيْرِ حَقٍّ وَهْوَ عَيْنُ الذَّبْحِ
٤٧٤. وَذَاكَ مِنْ سُخْفٍ وَمِنْ حَمَاقَهْ   يُزْرِي بِمَنْ قَبِلَهُ وَذَاقَهْ
٤٧٥. **دَوَاؤُهُ** ٱلْعِلْمُ بِأَنَّ مَدْحَهُمْ   لَيْسَ يُفِيدُ وَكَذَاكَ ذَمُّهُمْ
٤٧٦. وَلْيَسْتَحِ ٱلْعُبَيْدُ مِن مَّوْلَاهُ   مَهْمَا مُدِحْ بِغَيْرِ مَا أَتَاهُ
٤٧٧. وَلْيَتَوَجَّهْ بِالثَّنَاءِ ٱلْأَكْمَلِ   عَلَى ٱلَّذِي سَتَرَهُ فِي الزَّلَلِ
٤٧٨. وَمَن يَّكُنْ يَغْتَرُّ بِٱلْأَمْدَاحِ   فَمَا لَهُ فِي الدِّينِ مِنْ فَلَاحِ

فَصْلٌ

فِي رَذِيلَتَيِ الحِرْصِ وَالحَسَدِ

٤٧٩. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْحِرْصُ وَثُمَّ ٱلْحَسَدُ ... كِلَاهُمَا عَن رَبِّنَا مُبَعِّدُ
٤٨٠. أَصْلُهُمَا ضَعْفُ قُوَى ٱلْإِيمَانِ ... وَٱلْبُعْدُ عَن مَّنَاهِجِ ٱلْإِحْسَانِ
٤٨١. **دَوَاؤُهُ** ٱلْعِلْمُ بِأَنَّ ٱلْحِرْصَا ... مُؤَثِّرٌ فِي مُنْتَهَاهُ نَقْصَا
٤٨٢. مَعْ أَنَّهُ لَا يَجْلِبُ ٱلْأَرْزَاقَا ... وَلَيْسَ يُرْضِي فِعْلُهُ ٱلْخَلَّاقَا
٤٨٣. وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ كَتْبُ رِزْقِنَا ... وَأَجَلٍ وَعَمَلٍ فِي خَلْقِنَا
٤٨٤. كَذَا الشَّقَاوَةُ مَعَ السَّعَادَهْ ... فَمَا يُفِيدُ النَّقْصُ وَالزِّيَادَهْ
٤٨٥. **ثُمَّ دَوَاءُ** ٱلْحَسَدِ ٱلْمَشْؤُومِ ... بِكَثْرَةِ الدُّعَاءِ لِلْمَظْلُومِ
٤٨٦. وَٱلْعِلْمُ أَنَّهُ عَدُوُّ النِّعْمَةِ ... إِذْ قَصْدُهُ بِهِ حُلُولُ النِّقْمَةِ
٤٨٧. وَكَوْنُهُ يُرِيدُ أَنْ يَحْكُمْ عَلَى ... قِسْمَةِ مَوْلَاهُ ٱلْكَرِيمِ ذِي ٱلْعُلَا
٤٨٨. وأَنَّهَا مِنْ صِفَةِ ٱلْيَهُودِ ... مَعَ ٱرْتِفَاعِ رُتْبَةِ ٱلْمَحْسُودِ
٤٨٩. هَذَا مَعَ ٱبْتِلَائِهِ بِٱلْكَمَدِ ... وَغَيْرِهِ مِنْ تَبِعَاتِ ٱلْحَسَدِ
٤٩٠. فَلَا وُصُولَ مِنْهُ لِلْمَحْبُوبِ ... إِلَّا ٱجْتِمَاعُ ٱلْغَمِّ وَالذُّنُوبِ

فَصْلٌ
فِي الإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ

٤٩١. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْإِصْـرَارُ وَٱلْمُجَاهَرَهْ مَـعَ رَجَـاءِ رَحْـمَـةٍ وَمَـغْـفِـرَهْ
٤٩٢. وَذَا غُـرُورٌ ظَـاهِـرٌ وَجَـهْـلُ لَيْسَ لَهُ فِي الصَّـالِحَاتِ أَصْـلُ
٤٩٣. قَدْ ذَمَّ رَبِّي مَنْ طَرِيقَهُ ٱقْتَفَى وَكَانَ خَلْفًا فَاسِـدًا مَّا خُلِّفَا
٤٩٤. **دَوَاؤُهُ** ٱلْعِلْمُ بِـأَنَّ ٱلْغُفْرَانْ وَٱلْعَفْوَ وَالرُّحْمَى لِأَهْلِ ٱلْإِحْسَانْ
٤٩٥. فِي «آلِ عِمْرَانَ» ﴿**وَلَمْ يُصِرُّواْ**﴾[1] شَـرْطٌ لَدَى ٱلْمُسْـتَغْفِرِينَ ذَكَرُوا
٤٩٦. وَسُـورَةُ «الأَعْرَافِ» فِيهَا الرَّحْمَهْ سَـابِقَةُ ٱلْإِحْسَـانِ خُذْهَا حِكْمَهْ
٤٩٧. قَالَ أَبُو حَفْصٍ وَبِٱلْإِصْـرَارِ تَـهَـاوُنُ ٱلْعَبْدِ بِقَدْرِ ٱلْبَارِي

---

(١) آل عمران: ١٣٥

فَصْلٌ

فِي عَدَمِ إِجَابَةِ دَاعِي اللهِ طَوْعًا وَعَدَمِ الإِلْقَاءِ لِلْمَوَاعِظِ سَمْعًا

٤٩٨. **مِنْ عَيْبِهَا** أَن لَّا تُجِيبَ طَوْعَا … لِطَاعَةٍ وَأَلَّا تُلْقِ سَمْعَا

٤٩٩. وَذَاكَ مِنْ دَعْوَى لَدَيْهَا كَامِنَهْ … حَتَّى غَدَتْ ذَاتَ ٱغْتِرَارٍ آمِنَهْ

٥٠٠. **دَوَاؤُهُ** بِٱلْجُوعِ وَالأَسْفَارِ … وَٱلْجُهْدِ فِي اللَّيْلِ وَفِي النَّهَارِ

٥٠١. حَتَّى يَصِيرَ إِلْفُهَا بِكُرْهِ … وَذَاكَ لِلطَّوْعِ حَقِيقًا يُنْهِي

٥٠٢. قَدْ قَالَ طَيْفُورٌ هُوَ ٱلْبِسْطَامِي … أَشَدُّ مَا لَقِيتُ فِي أَيَّامِي

٥٠٣. لِلنَّفْسِ لَمَّا لَمْ تُجِبْ لِلطَّاعَهْ … طَوْعًا بِتَرْكِ ٱلْمَاءِ وَٱلْمَجَاعَهْ

٥٠٤. حَوْلًا مِّنَ الزَّمَانِ بِٱسْتِيفَاءِ … فَهَذِهِ أَحْوَالُ ذِي ٱلْوَلَاءِ

٥٠٥. وَهَكَذَا طَرِيقُهُمْ فَلْتَسْلُكِ … أَوْ تَقْتَنِي مِنَ[1] التُّقَى وَتَتْرُكِ

٥٠٦. دَعْوَاكَ وَٱلْإِشْرَافَ لِلْمَرَاتِبِ … مُعْتَبِرًا مَا فِيكَ مِنْ مَعَايِبِ

---

(١) خ: أَوْ تَقْتَنِعْ مِنْهَا.

فَصْلٌ

فِي جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِيهِ وَالمَنْعِ لِمُسْتَحِقِّيهِ

٥٠٧. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱلْجَمْعُ مَعًا وَٱلْمَنْعُ ... وَذَاكَ ضُرٌّ مَا لَدَيْهِ نَفْعُ

٥٠٨. وَأَصْلُهُ ٱلْبُخْلُ وَخَوْفُ ٱلْفَقْرِ ... وَحُبُّ دُنْيَا مَا لَهَا مِنْ خَيْرِ

٥٠٩. **دَوَاؤُهُ** ٱسْتِشْعَارُهُ قُرْبَ ٱلْأَجَلْ ... وَأَنَّ مَالَهُ لِغَيْرِهِ ٱنْتَقَلْ

٥١٠. فَيَنْفَعُ ٱلْغَيْرَ وَلَا يَنْفَعُهُ ... إِذْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ يَمْنَعُهُ

٥١١. مَعْ أَنَّهُ مُحَاسَبٌ عَلَيْهِ ... مُطَالَبٌ بِحَقِّهِ لَدَيْهِ

٥١٢. قَالَ الرَّسُولُ: كُلُّ مَا قَدَّمْتَا ... مَالُكَ وَٱلْغَيْرُ لِمَنْ تَرَكْتَا(١)

٥١٣. وَلَكَ مَا لَبِسْتَ أَوْ أَبْلَيْتَهُ ... أَوِ ٱلَّذِي أَكَلْتَ أَوْ أَفْنَيْتَهُ(٢)

٥١٤. ثُمَّ ٱلَّذِي صَدَّقْتَهُ أَمْضَيْتَهُ ... وَعِنْدَ رَبِّنَا غَدًا وَجَدْتَهُ(٣)

٥١٥. فَٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ عَلَى بَصِيرَهْ ... وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُسِيءْ مَصِيرَهْ(٤)

---

(١) عن ابن مسعود ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «**فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**». (البخاري: ٦٤٤٢)

(٢) يشير إلى قَوْلِه ﷺ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**» (مسلم: ٢٩٥٨)

(٣) ما خلّفتهُ بعْدَكَ من المال فهو لغيْرِك، لهُ غنمُهُ، وعليكَ غرمُهُ، فخيرُ مالكِ ما تصدَّقْتَ به واحتسبتَ أجرَهُ عند ربِّكَ، فإن الله يجزي المتصدقينَ، وجاء في الصدقةِ ثوابٌ عظيمٌ وأجرٌ كبيرٌ. (الأنس، ص٣٣٣)

(٤) أمرَكَ أن تختار ما يبقى ما على ما يفنى، ونهاكَ عن أن تكون ممن يُسِيءُ مصيرَهُ وهو المانعُ لحقِّ اللهِ في مالِه، فعليْهِ يحاسَبُ ويعاقَبُ، والغيرُ به ينتفِعُ ويتمتَّعُ، وهذا نظرُ من لا بصيرةَ له فساءَ مصيرُهُ، وأوقعهُ في الخسران والهلاك تدبيرُهُ. (الأنس، ص٣٣٣)

فَصْلٌ

فِي صُحْبَةِ أَهْلِ الأَغْرَاضِ الفَاسِدَةِ وَالمَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ

٥١٦. **مِنْ عَيْبِهَا** الصُّحْبَةُ لِلْمُخَالِفِينْ(١) وَأَهْلِ لَـاَغْرَاضِ مِنَ ٱلْمُـآلِفِينْ(٢)

٥١٧. وَذَاكَ مِـنْ بَـقِـيَّـةِ الـنُّـزُوعِ لِـفِـعْـلِـهِـمْ وَطَـلَـبِ الـرُّجُـوعِ(٣)

٥١٨. **دَوَاؤُهُ** صُـــحْبَةُ أَهْلِ الطَّاعَهْ وَتَـابِعِـينَ ٱلْحَقَّ وَٱلْجَمَـاعَـهْ(٤)

٥١٩. فَكُلُّ مَنْ يَصْـحَبُ غَيْرَ جِنْسِـهِ فَجَـاهِـلٌ تَـٱللَّـهِ قَـدْرَ نَفْسِـــهِ(٥)

٥٢٠. أَفْضَـــلُ لِلْمَرْءِ جُلُوسٌ وَحْدَهُ وَلَا يَكُنْ جَلِيسُ سُــوءٍ عِنْـدَهُ(٦)

---

(١) المرادُ بالمخالفين هنا: الذين يخالفون المريدَ في مقصدهِ وإرادتهِ وأحوالهِ، فصُحبةُ المريد لمن خالفه في ذلك يُعَدُّ عند المريدين عيْبًا من عيوب النفسِ. (الأنس، ص٣٣٤)

(٢) أي الذين أَلِفُوا الفسادَ ورُبُّوا على الطبع المُعتاد، وصُحْبةُ هؤلاء من عيوب النفسِ لما يسري من طبعهم الفاسِدِ إلى المريد؛ إذ الطباعُ تسرقُ مِن الطباع، والنفسُ تَميلُ بطبعها إلى ما يوافق هواها، ويقرّبها إلى نيْل أغراضها وشهواتها، فهي تتأثر بما فيه فسادها أكثر مما فيه صلاحها. (الأنس، ص٣٣٤)

(٣) أي: صحبة أولئك المذكورين سببُهُ طلبُ النفسِ الرجوعَ إلى ما كانت عليه قبل الإرادةِ من الاعوجاج في العهد القديم. (الأنس، ص٣٣٤)

(٤) لأن العيبَ إنما يُنْفى بما يضادُّه وينفيه، ويُداوَى بما يُذْهِبُه ويُبْرِيه. وأهل الطاعة هم الذين أطاعوا الله في السرِّ والعلانية، فلا يتركون أمرا، ولا يقربون نهيا. والحقُّ: هو الكتابُ والسنَّةُ، والجماعةُ: هم أهلُ السنَّةِ الذين سلكوا على المنهج المحمَّدي القويم، والصراط المستقيم. (الأنس، ص٣٣٤)

(٥) المرادُ بغير الجنسِ: مَن لا يوافقُكَ على طاعةِ ربِّكَ، ولا يبصِّرُكَ بعيوبِ نفسِكَ، ولا ينهضُكَ حالُهُ، ولا يدلُّكَ على الله مقالُهُ، وشأنُهُ اتباعُ الأهواء، وسلوكُ طريق الإغواء، فمَن كان هذه حالُهُ فهو غيرُ جنس أهل التوفيق، وحالُهُ مخالفٌ لأحوال أرباب الطريق، فمن صحبَهُ فهو جاهلٌ قدر نفسهِ، حيث قارنها بمن ضرُّهُ أقرب إليه من نفعهِ. (الأنس، ص٣٣٤)

(٦) لا شك أن الوحدةَ أفضلُ من جليس السوء لأنه يشغلُك بما لا يعني عما يعني، ويميلك إلى طريق الاعوجاج، وينتهج بك أسوأ منهاج. وبالجملة فالأصحاب ثلاثةٌ: صاحبٌ كالقوتِ لا يستغنى عنه، وصحبةُ هذا خير من الوحدة، وهو الذي ينهضُكَ حالُه ويدلُّك على الله مقالُهُ. وصاحبٌ كالدواء

٥٢١. وَمُشْــبِـهُ ٱلْقَوْمِ فَـذَاكَ مِنْهُمُ وَمُـكْـثِـرُ السَّـــوَادِ عُـدَّ فِـيـهِـمُ
٥٢٢. هَذَا ٱلَّذِي ذَكَرْتُ فِي ٱلْحَدِيثِ عَنْ سَـــيِّـدِ الخَلْقِ فَخُـذْ حَـدِيثِي[1]
٥٢٣. وَقِيلَ: إِنَّ صُـــحْبَةَ ٱلْأَشْـــرَارِ تَقْضِــي بِسُـــوءِ الظَّنِّ فِي ٱلْأَخْيَارِ[2]
٥٢٤. وَقِـيـلَ: مَهْمَـا بَعُـدَ الفُؤَادُ عَـنْ رَبِّـهِ عَـارَضَـــهُ ٱلْفَسَـــادُ
٥٢٥. فَـمَـقَـتَ كُـلَّ عَـابِـدٍ أَوَّاهِ فَٱسْـــتَوْجَبَ ٱلْمَقْتَ بِعَدْلِ ٱللَّـهِ[3]
٥٢٦. وَعَسْـكَرٌ أَبُو تُرَابِ النُّخْشَـبِي قَـالَ كَلَامًـا حَسَـــنًـا فِي المَـذْهَـبِ
٥٢٧. ٱلْقَلْبُ مَهْمَا أَلِفَ ٱلْإِعْرَاضَـــا عَــنْ رَبِّــهِ يُـوَاقِـعُ الأَعْـرَاضَـــا
٥٢٨. أَعْرَاضَ أَهْلِ ٱلْجِدِّ وَٱلْعِنَـايَـهْ وَالصِّـــــدْقِ وَٱلْإِخْلَاصِ وَٱلْوِلَايَـهْ
٥٢٩. وَذَاكَ بَابُ ٱلْهُلْكِ فِي ٱلْوُجُودِ بِـوَعْـدِ رَبِّـي ٱلْـوَاحِـدِ ٱلْـوَدُودِ[4]

لا تحتاج إليه إلا عند الحاجةِ وهو الذي تستفيد منه حسن التدبير فيما أشكل عليك من الأمور التي تخفى عنك عواقبها. وصاحبٌ كالداءِ وهو الذي لا يحصل لك من صحبتِهِ إلا البعدُ من الله تعالى والخروجُ عن منهاج الاستقامة. (الأنس، ص٣٣٥)

(١) يشير إلى ما رواه أبو يعلى أن رجلا دعى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مسعُودٍ رضي الله عنه إِلَى وَلِيمَةٍ، فَلَمَّا جَاءَ سَمِعَ لَهْوًا، فَلَمْ يدخل. فقال: مَا لَكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ كَثَّر سَوَاد قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ رضِيَ عَمَلَ قَوْمٍ كَانَ شريكًا لِمَنْ عَمِلَهُ**». (عزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية: ١٦٦٠ لأبي يعلى، وكذا في فتح الباري (ج١٣/ص٣٨) وقال: له شاهدٌ عن ابي ذر في الزهد لابن المبارك غير مرفوع.

(٢) يشير إلى قول أبي تراب النخشبي قولَه: «**صُحْبَةُ الأَشْرَارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بالأَخْيَارِ**». (حقائق التفسير للسلمي، ج١/ص٤٢٧) وأما القشيريُّ فعزاهُ لبشر بن الحارث. (الرسالة، ص٦١٤) قال اللخميُّ: «**صُحبةُ الأشرارِ**» ولو مع الجهل بحالهم «**تُورِثُ سوءَ الظنِّ بالأخيارِ**» لأن مَن صَحِب مَنْ حَسَّنَ ظَنَّهُ بِهِ ولم يتثبَّت في حالهِ ثم اطّلع منه على ضعفٍ في دينِهِ ساءَ ظنُّه بالصالحين. (الدلالة على فوائد الرسالة، ج٤/ص٥٩٠)

(٣) يشير إلى قول أبي تراب النخشبي: «**إِنَّ القُلُوبَ إِذَا بَعُدَتْ عَنِ اللَّهِ مَقَتَتِ القَائِمِينَ بِحَقِّ اللَّهِ**». (حقائق التفسير للسلمي، ج١/ص٣٠٢)

(٤) خ: المعبود

٥٣. إِذْ مَنْ أَذَى وَلِيَّهُ قَدْ حَارَبَهْ[١]		وَلَـنْ يُـطِـيـقُ ذَاكَ أَوْ يُـقَـارِبَـهْ

(١) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله** عز وجل: «**مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي**». (أحمد: ٢٦١٩٣) وهو في صحيح البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**» الحديثَ.

فَصْلٌ
فِي الاسْتِرْسَالِ فِي الغَفْلَةِ وَتَرْكِ العَمَلِ الصَّالِحِ حَالَ المُهْلَةِ

٥٣١. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱسْتِرْسَالُهُ فِي ٱلْغَفْلَهْ[١] وَتَرْكُهُ الْأَعْمَالَ حَالَ ٱلْمُهْلَهْ[٢]

٥٣٢. وَذَاكَ مِنْ نُقْصَانِ مَا لَدَيْهِ مِنَ ٱلْيَقِينِ وَٱلَّذِي إِلَيْهِ[٣]

٥٣٣. **دَوَاؤُهُ** فِي ذَلِكَ ٱلْمُرَاقَبَهْ[٤] وَٱلْجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ وَٱلْمُطَالَبَهْ

٥٣٤. وَكَوْنُهُ مُحَاسِبًا لِنَفْسِهِ[٥] وَذَاكِرًا يَوْمَ حُلُولِ رَمْسِهِ[٦]

---

(١) الغفلةُ عن الله بترك ذكرِهِ، وعدمِ الوقوفِ عند نهيه وأمره، فالقلب معرضٌ عن الفكر في أوصاف الألوهية، واللسانُ صامتٌ عن الذكر قياما بحقوق الربوبية، والجوارح مصروفةٌ عن القيامِ بالوظائف الشرعية، فهذه هي الغفلةُ الموجبةُ لبُعْدِ العَبْدِ عن مولاه، وخسرانِهِ لتضييعه لما فيه رضاه، والاسترسال في هذه الغفلة عيبٌ من عيوب النفس عظيمٌ، ووصفٌ لمن اتصف به ذميمٌ. (الأنس، ص٣٣٩)

(٢) وليس هذا من وصف العقلاء، ولا من أحوال النبلاء، الذين أخذوا في العمل بالجدِّ والتشمير، ولا سمحوا لأنفسهم في ذلك في قليلا ولا كثير، فالعاقلُ لا يغفل عن أداء حقوق مولاه، ولا يتركُ العملَحال المهلةِ تابعا لهواه. (الأنس، ص٣٣٩)

(٣) إذا نقص يقينُ العبدِ بما وصل إليه مِن نِعَمِ مولاه العظيمة التي توجبُ عدَمَ غفْلَتِهِ عن أداء حقوقِهِ، استرسلَ في ميدان الغفلة، وترك العمل حال المهلة. (الأنس، ص٣٤٠)

(٤) **المراقبة**: علمُ العَبْدِ بٱطلاع الربِّ سبحانَهُ عليه، فاستدامةُ هذا العلمِ هي المراقبةُ، وهي أصل كلِّ خَيْرٍ للعبدِ، ولا يكادُ يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغِهِ من المحاسبة، فإذا حاسبَ نفسَهُ على ما سلفَ، وأصلح حاله في الوَقتِ، لازمَ طريق الحقِّ، وحفظ مع الله الأنفاس، فتنتفي الغفلةُ وتَرْكُ العمَل، وكلُّ نافٍ لشيءٍ فهو مضادٌّ له ودواءٌ له. (الأنس، ص٣٤١)

(٥) إذا علِمَتِ النفسُ أنّ عليها رقيبا يحاسبها نهضتْ إلى العمل، وقطعتْ عقال الكسل، فلا تركن إلى الغفلة، ولا تتركُ العملَ حال المهلة. (الأنس، ص٣٤٢)

(٦) فمَن تذكَّر ذلك قصَّرَ أملَه، واستَحْضَر أجَلَه، ونهَضَ إلى العمَل، ولمْ يُسَوِّفْ فيه بِـ«سَوْفَ» وَ«لَعَلّ». (الأنس، ص٣٤٢)

٥٣٥. وَسَــــامِعًا أَخْبَارَ أَهْلِ ٱلْجِدِّ لِيُنْهِضَ ٱلْهِمَّـةَ عِنْـدَ ٱلْقَصْـــــدِ
٥٣٦. لِأَنَّ حَيَّ ٱلْقَلْـبِ بـالتَّـذْكَـارِ يَصِـــيـرُ لِـلْأَعْـمَـالِ وَٱلْأَذْكَـارِ[1]
٥٣٦. وَمَيِّــتُ ٱلْقَلْـبِ فَلَا يَنْفَعُـهُ ذِكْـرٌ وَلَا فِـكْـرٌ وَلَا يَـجْـمَـعُـهُ[2]

(١) إذا حَيِيَ القلبُ بالتذكار، نهضَ إلى الأعمال والأذكار، وهذا حالُ القلب الموصوف بالحياة، الذي تنفعهُ المواعظ والتذكير، وتزجره عن الغفلة وتركِ العملِ الزواجر والتنفير، والقلبُ الميّتُ حالُ صاحبه على غير ذلك. (الأنس، ص٣٤٣)

(٢) إنما كان القلبُ الميتُ لا ينتفعُ بفكر ولا ذكر ولا يجمعه ذلك من تفرقةٍ لعدمِ إحساسِه، وانسداد مجاري المنافعِ وفقد القوة الجالبة، ولهذا قال أهل القلوب الميتة: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[الشعراء: ١٣٦]، وقال تعالى في وصفهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[البقرة: ١٧١]. (الأنس، ص٣٤٣)

فَصْلٌ

فِي التَّجَرُّدِ مِنَ التَّكَسُّبِ وَتَرْكِ العَمَلِ وَالتَّسَبُّبِ بِلَا أَهْلِيَّةٍ

٥٣٧. مِنْ عَيْبِهَا التَّجْرِيدُ عَنْ تَكَسُّبِ وَالتَّرْكُ لِلْأَعْمَالِ وَالتَّسَبُّبِ[١]

٥٣٨. لِكَيْ يُقَالَ إِنَّهُ تَوَكَّلَا مَعْ كَوْنِهِ لِحُكْمِ ذَاكَ أَهْمَلَا[٢]

٥٣٩. إِذْ يَطْلُبُ الرِّزْقَ بِالِاسْتِشْرَافِ وَيَسْخَطُ الآبِي[٣] بِلَا إِنْصَافِ

٥٤٠. وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ وَمِنْ تَدْبِيرِ وَعَدَمِ التَّفْوِيضِ فِي ٱلْأُمُورِ[٤]

---

(١) التجريدُ الحقيقيُّ: عبارةٌ عن تركِ العمَلِ والأسباب مع خلوِّ الباطنِ عن النظر إليها والتفكر في الاشتغال بها، ولا يصلحُ إلا لأهله الذين أهَّلَهم اللهُ لذلك وقوَّاهم عليه، فظواهرهم خالية من السبب، وبواطنهم لا تميل إلى سؤالٍ وطلب، فهم بالله واثقون، وعليه متوكلون، فالتجريدُ في حق هؤلاء لا يعدُّ عيبًا من عيوب النفسِ لأن الله تعالى أقامهم فيه وأهّلهم إليه، وعلامةُ ذلك سكون باطنهم، وعدم استشرافهم إلى ما في أيدي الخَلْق. وأما التجريد غير الحقيقيّ فهو الصادر عن غير أهله الذين لم يقمهم اللهُ تعالى فيه ولا أهلهم إليه، ودليل عدَمِ أهليتهم عدَمُ سكون باطنهم عن حصول الرزق، واستشرافهم إلى ما في أيدي الخَلْق، ووجود الاضطراب والتفكر من جهة الأسباب، وعدم قيامهم بالوظائف الشرعية. (الأنس، ص٣٤٤)

(٢) إذا كانَ قصدُ المتجرّد بتجريده أن يُنْسَب إلى التوكل وأن يقال متجَرِّدٌ، فذلك علَّةٌ في المتجرِّدِ وتجريدِهِ، وهذا التجريدُ هو الذي يعدُّ عَيْبًا من عيوب النفسِ، وأحكامُهُ المهملةَ: وجودُ الأهلية، والتحقق فيه باطنا وظاهرًا، وعدمُ الاستشراف إلى ما في أيدي الخَلْق، وعدمُ القيامِ بالوظائف الدينية. (الأنس، ص٣٤٤)

(٣) نبَّه على علة قادحةٍ في المتجرِّدِ وتجريده ويستدلُّ بها على عدم أهليته لمقام التجريد وهي التسخُّطُ على من أَبَى أن يُعطيَهُ ما كان مستَشْرِفًا إِلَيْه، ويمنَعُه ما كان معوِّلا عليه، وهذا دليل رؤيته الأكوانَ ووقوفه معها وتعويله عليها، وهذا مخالف لأحوال أهل التجريد. (الأنس، ص٣٤٥)

(٤) اعلم أن تلك العِلَل إنما وُجِدَت في حال المتجرِّدِ من جهله بأحكام التجريد، ومن سوء تدبيره حيث وضع قدَمَهُ في مقام التجريد وليس هو من أهله ولا معرفة له بأحكامِهِ، أو عرفها وأهملها، ومن عدمِ تفويضه الأمور لربِّهِ ليختار له أيَّ مقامٍ شاء ويقيمُهُ في أيِّ مقامٍ أرادَ، ولو عَلِمَ هذا العبدُ أوصاف الربوبية ومقامَ العبوديَّةِ لأقام فيما يرضاهُ له اللهُ من حيث يرضاهُ من تجريدٍ أو أسبابٍ. (الأنس، ص٣٤٥)

٥٤١. إِذْ قَدْ أَتَى فِي ذَاكَ نَصًّا مُعْرَبَا　　أَطْيَبُ أَكْلِ ٱلْمَرْءِ مِمَّا ٱكْتَسَبَا[١]
٥٤٢. مَعْ أَنَّ هَذَا لَيْسَ فِيهِ عُجْبُ　　وَلَا رِيَاءَ يَقْتَضِيهِ ٱلْكَسْبُ[٢]
٥٤٣. وَمَنْ يَكُنْ مِنْ حَالِهِ التَّجْرِيدُ　　وَهْوَ بِهِ لِلْخَيْرِ مُسْتَفِيدُ
٥٤٤. مَعَ ٱنْقِطَاعِ نَفْسِهِ عَنْ غَيْرِ　　فَحُكْمُهُ فِيهِ دَوَامُ ٱلْأَمْرِ[٣]
٥٤٥. كَحَالِ أَهْلِ الصُّفَّةِ ٱلْكِرَامِ　　السَّادَةِ ٱلْأَيِمَّةِ ٱلْأَعْلَامِ

(١) أخرج البخاري (٢٠٧٢) عَنِ المِقْدام ﵁ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ** ﵇ **كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**». **الخروبيُّ**: ولهذا كانَ أكثرُ أهل الورعِ لا يأكلونَ إلا من كدِّ اليمين، وما عرق فيه الجبين، ويسلكون في الأسباب ما كان محمودًا شرعا وطبعا، ومباحًا أصلا وفرعًا. (الأنس، ص٤٣٦)

(٢) لأن الشرعَ أذن في التكسُّبِ، وفَعَلَهُ الأكابرُ والأفاضلُ، والمُتلَبِّسُ به لا يداخلهُ عُجْبٌ؛ لأنه متلبِّسٌ بما تلَبَّسَ به عامَّةُ المؤمنين، وتَسَتَّرَ به كيْ لا يقال: إنه مِن المُتوَكِّلين. وكذلك الكسبُ لا يطرقُهُ الرياءُ، وأما التجريد فقد يعرضُ فيه للنفسِ علل وآفاتٌ تفسِدُهُ، إلا إذا كانَ المتجرِّدُ من أهلهِ، واراد به استفادةَ الخيرِ، ولم يهمل أحكامَهُ التي بها يكون إحكامُهُ، وكان مقتفيا في تجريدِهِ بأهل الصُّفَّة رضي الله تعالى عنهم، فالتجريدُ خيرٌ له. (الأنس، ص٣٤٦)

(٣) أي: حكمُهُ الاستدامةُ على تجريده، وليعلمْ أنَّ اللهَ ﷻ سلَكَ به مَسْلَكَ خواصِّ عبيدِهِ وحَلَّاه بِحُلَى أَصْفِيائه الكرامِ، وهُمْ أَهْلُ الصُّفَّةِ السادة الأيِمَّة الأعلام، أصحابُ النبيِّ عليه أفضل الصلاة والسلام. (الأنس، ص٣٤٧)

فَصْلٌ

فِي ادِّعَاءِ الأَحْوَالِ الإِحْسَانِيَّةِ دُونَ التَّحَقُّقِ فِي مَقَامِ الإِسْلَامِ

٥٤٦. مِنْ عَيْبِهَا ٱلْقِيَامُ بِالدَّعَاوِي ... وَتَرْكُ مَا بِهَا مِنَ ٱلْمَسَاوِي

٥٤٧. مَعَ ٱلْفِرَارِ مِنْ عُلُومِ الظَّاهِرْ ... وَفَقْدِ مَا تَحْظَى بِهِ السَّرَائِرْ(١)

٥٤٨. وَذَاكَ مِنْ جَهْلِ ٱلْفَتَى بِالدِّينِ ... وَفَقْدِهِ التَّحْقِيقَ بِاليَقِينِ(٢)

٥٤٩. دَوَاؤُهُ ٱلْعِلْمُ بِأَنَّ الدَّعْوَى ... تُفْضِي إِلَى مُصِيبَةٍ وَبَلْوَى(٣)

---

(١) معنى القيام بالدعاوي: أن يدعي العبدُ المراتبَ العليَّةَ، والأحوالَ السنيَّةَ، وفَهمَ الحقائق الإحسانيةِ، وأسرارَ المعارف الربانية، وليس بأهلٍ لها، ولا شمَّ رائحةً منها. وكيف تصحُّ هذه الدعاوى لِمن ادعاها ولا حوَى العلومَ الظاهرةَ ولا وَعاها، ولا حافظَ على العلوم الشرعيَّة ولا راعاها؟! كلا والله إنه لكاذبٌ في دعواه، غيرُ صادق فيما ادعاه، فدعواه مردودةٌ عليه، والخطأ والغلطُ منسوبٌ إليه، فيا عجبًا كيف يدعي الأحوالَ الإحسانية ولم يتحقَّقْ في مقام الإسلام؟! أم كيف يدعي الخصوصيةَ والاختصاصَ من هو غارقٌ في بحر الآثام؟! ولا تُقبل الدعاوي ممن تركَ نفسَهُ مقيمةً على المساوي، وأهل الصدقِ لا يقبلون دعوى من ظهر منه أدنى مخالفةٍ للآداب الشرعية فكيف بالمساوي؟! وكذلك التاركُ لما تحظى به السرائر من الوظائف الشرعيةِ والآداب النبويةِ وتصحيح العقائد الإيمانية والتحقق في المقامات الإحسانية، فالتاركُ لهذه لا تقبل دعواه، ولا يسلَّمُ له فيما ادعاه. (الأنس، ص٣٤٨)

(٢) فلمَّا جهِلَ ما يَصْلُح به دينُه من العلوم الظاهرة الشرعية، وفقَدَ ما يكْمُل به دينُهُ من التحقُّق باليقين الناشئ عن معرفة ما تصحُّ به عقائدهُ من العقائد الإيمانية، غلب عليه الوهمُ، فظنَّ أنَّ ما قامت به من الأمور الوهمية حقائِق، وهي في الحقيقة دعاوي، ولو كان عالِمًا بأمور الدين محقِّقًا في مقام اليقين لما صَدَرَتْ منه دعاوِي، ولرأى مساوِيه مساوِي. (الأنس، ص٣٤٩)

(٣) إذا علِمَ العبدُ بأنّ الدعوى الباطلة الناشئة عنْ جَهْلٍ في الدين وعدَمِ التحقق في مقام اليقين تفضي بصاحبها إلى مصيبة في دينه ودنياه، وبلوى تحيط به من جانبيه ومن أسفله وأعلاه، تجنبها ولم يدَّعِها، وتبَرَّأ منها ولم يَدْنُها، وكذلك إذا عَلِمَ أن الله ﷻ أمرنا بإصلاح الظواهر بالعلوم الشرعية، وبطهارة السرائر وتصفيتها من كدرات الأوهام بتصحيح العقائد الإيمانية؛ فإذا علم العبد ذلك اشتغل بإصلاح ظاهره، وبطهارة باطنه عن الدعوى التي تفضي به إلى المصيبة والبلوى. (الأنس، ص٣٥٠)

٥٥٠. وَأَنَّ رَبَّ ٱلْخَلْقِ بِـالظَّوَاهِرْ أَمَـرَنَـا حَـقًّـا وَبِـالسَّـــرَائِـرْ[١]
٥٥١. فَلَيْس هَـذَا نَـافِعًـا بِلَا ذَا وَلَا يَــقُــومُ هَــذَا دُونَ هَــذَا
٥٥٢. وَالعِلْمُ قَالَ ٱلْمُصْطَفَى فَرِيضَـهْ وَهْوَ لَـدَيْـهِ حَضْـــرَةٌ عَرِيضَــــهْ[٢]
٥٥٣. فَلْتَطْلُبِ ٱلْعِلْمَ بِطُولِ الدَّهْرِ[٣] عِـلْـمَ ٱلْـحَـلَالِ وَٱتِّـبَـاعِ ٱلْأَمْـرِ
٥٥٤. فَإِنْ تَقُمْ بِذَاكَ كُنْتَ المُسْـتَقِيمْ وَيَفْتَحِ ٱللَّـهُ بِفَضْــلِـهِ ٱلْعَظِـيمْ
٥٥٥. فَـٱلْعِلْمُ بَحْرٌ مَـا لَـهُ نِهَـايَـهْ وَلَا إِلَــى آخِـرِهِ مِــنْ غَــايَــهْ
٥٥٦. إِذْ جَاءَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمْ وَمُنْتَهَى ٱلْعِلْمِ إِلَى ٱللَّـهِ ٱلْعَظِيمْ[٤]

(١) وإذْ قد عَلِمْنا أنَّ الحقَّ تعالى أمرنا بالعلوم التي بها صلاحُ ظواهرنا، وبالعلوم التي بها طهارة بواطننا وصلاح سرائرنا، وجَبَ علينا تعلُّمُها والاشتغال بها شغلا عن القيام بالدعاوى الباطلة الناشئة عن الأوهام الكاذبة، فلا تصِحُّ استقامةٌ دُونَ العِلْمَيْن، ولا يُستَغْنى بأحَدِ العِلْمَيْن عنِ الآخر؛ بل لا بدَّ مِن تَعَلُّم الاثنين. (الأنس، ص٣٥٠)

(٢) يُشِيرُ إلى قول المصطفى ﷺ: «**طَلَبُ العِلْمِ فرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[ابن ماجه: ٢٢٤]، وما كان فرْضًا فلا بُدَّ من الإتيان به؛ إذ في فِعْلِه الثوابُ، وفي ترْكِه العِقابُ، وحَدُّ الفَرْضِ منه: ما تَصِحُّ به قواعِدُ الإسلام، والزائد على ذلك مُرَغَّبٌ فيه، وقد يتَعَيَّنُ على بعض الناس مِن العلوم ما هو مندوبٌ في حق غيره، كمَنْ فيه أهليّةٌ للقيام بوظيفَةٍ من الوظائف الشرعية. وقوله: «حَضْرَةٌ عَرِيضَه»، أي: مكانةُ العلم عند المصطفى ﷺ عظيمةٌ. (الأنس، ص٣٥١)

(٣) من أنَّ من طلبَهُ في زمانٍ طويلٍ لا يحصلُ له منه إلا القليل، وإن أعطيتَهُ كلَّكَ أنالكَ بعْضَه. (الأنس، ص٣٥٢)

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝٧٦﴾[يوسف: ٧٦]، كل هذا لئلا يدعي العالِمُ الكبيرُ الجامع النحرير أنه حصل على العلوم فلم يحتج إلى زيادةٍ في الطلب ويريح نفسه من الكدّ في طلبه ومن التعب، فأخبر عن الله تعالى أن العالِمَ وإن بلغ في العلوم ما بلغَ فهناك عالِمٌ فوقه، فليطلب الزيادةَ، ولا يقصّر طولَ عمره في طلب الإفادة، ومع هذا كلِّه فليعلم أن منتهى العلم إلى الله تعالى، فلا نهاية لمعلوماته، كما لا غايةَ لعلمِهِ. (الأنس، ص٣٥٣)

فَصْلٌ

فِي المَنِّ بِالعَطَاء

٥٥٧. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱسْتِعْظَامُهُ عَطَاهُ   وَمَنُّهُ عَلَى ٱلَّذِي أَعْطَاهُ(١)
٥٥٨. وَذَاكَ مِنْ رُؤْيَتِهِ لِمُلْكِهِ   وَبُخْلِهِ ٱلَّذِي قَضَى بِهُلْكِهِ(٢)
٥٥٩. **دَوَاؤُهُ** رُؤْيَةُ مَنِّ ٱللَّهِ   فِي كُلِّ مَا يُعْطِي بِلَا تَنَاهِي(٣)
٥٦٠. وَإِنَّمَا هُوَ أَمِينٌ حَافِظْ   فِي مَالِهِ ٱلَّذِي لَهُ يُلَاحِظْ(٤)

---

(١) وقد خاطب الله نبيَّهُ ﷺ بأن لا يستكثر العطاءَ ولا يَمُنَّ على الذي أعطاه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقد وعد الله المنفقين في سبيل الله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٢] بالوعدِ الحسنِ والثواب الجزيل فقال: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٦٢﴾ [البقرة: ٢٦٢]. (الأنس، ص٣٥٤) وقال الشيخ **الخروبيُّ** في تفسيره: والحاملُ على إتباعِ الصدقةِ بالمنِّ والأذى الجهلُ بالحقائق؛ إذ المُنْفِق لو علمَ أن المالَ للهِ تصرَّفَ فيه بإذنه، وأنفقه من أجلهِ وفي سبيله وعلى عبيده، ولو عَلِمَ قَدْرَ المؤمن المتصدَّق عليه لما منَّ على أحدٍ بسبب نفقته ولا آذاهُ من أجلها. (تفسير رياض الأزهار، ج١/ص٥٧/أ)

(٢) إذا رأى العبدُ أن ما بيدهِ مِلْكٌ له بَخِلَ به، فلم تسمحْ نفسُهُ بالعطاءِ، حتى إذا أعطى استعظَمَ العطاءَ، ومَنَّ به على من أعطى، وهذا الوصفُ يقضي بهلاك صاحبِهِ. (الأنس، ص٣٥٤)

(٣) إذا رأى العبد ما أعطاه مولاه ﷻ من العطايا الجزيلة التي لا نهاية لها، وَمِنَّةَ اللهِ تعالى عليه بذلك مِن غَيْر حَوْلٍ مِن العَبْد ولا قوة، وإنما ذلك من فضل المولى وإحسانه وُجوده وامتنانه، عامَلَ العِبادَ بما عاملَهُ اللهُ تعالى به؛ فيُعْطِي ولا يسْتَكْثِر، ولا يَمُنُّ ولا يَفْتَخِر، فإذا سلك هذا المسلك الرشيد، ولَمْ يَمُنَّ بما أعطى لإخوانه من العبيد، انْتَفَت عنه عِلَّةُ المَنِّ والاسْتِعْظام، وبَرِئَ من هذا العَيْب الذي هو مِن عيُوبِ النَّفْس العظام. (الأنس، ص٣٥٥)

(٤) إذا تحقق العبْدُ أن ما بيده مِن مالٍ هو مالُ الله تعالى، وأنه فيه بمنزلة الأمين على مالِ سيده، وأنه ينتظر العزل في كل وقت، راعى في ذلك المال حقَّ عبيد الله تعالى، فلم يبخل بالعطاء، وإذا أعطى لم يستكثر العطاء، ولا يَمُنُّ به على من أعطى؛ إذ لا يَمُنُّ العبْدُ بما يعطي من مالِ غَيْرِه، ولا يسْتَعْظِم ما خرَج من غير خزائنه، وإنما هو واسطةٌ أجْرَى اللهُ العطاءَ على يديه ليوصله لمن أراد أن يوصله إليه. (الأنس، ص٣٥٤)

٥٦١. يُوَصِّـــلُ ٱلْأَمْرَ عَلَى مَا أُمِرَا حَسْـبَمَـا قُسِـمَ أَوْ مَـا قُـدِرَا[1]
٥٦٢. وَٱلْفَخْرُ لَا يَصِـحُّ بِالتَّوْصِـيلِ وَلَا بِقَسْـمِ وَاجِـبِ ٱلْحُصُـولِ[2]
٥٦٣. إِذْ كُلُّ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ فَضْـلِهِ ثُـمَّ لَـهُ ٱنْـتِـزَاعُـهُ بِـعَـدْلِـهِ
٥٦٤. وَمَنْ يَكُنْ لَا يَمْلِـكُ ٱلْأُمُورَا كَيْفَ يُرَى بِزائِـلٍ مَسْـرُورَا؟![3]

(١) هذا وَصْفُ الأمِين وهو أن يُوَصِّلَ ما أَمَرَهُ به سيِّدُه لِمَن أمرَهُ أن يُوَصِّلَه إليه على الوَجْه الذي أمَرَهُ به، وحسبما قسَمَ السيِّدُ أو قدَّرَ، من غيْر تعَدٍّ ولا مخالفة أمْرٍ، وبهذا كان أمينًا ووُصِفَ بالأمانة، فالعطاءُ من السَّيِّد، والأمين واسِطَةٌ، وهو على ما صدر على يديه من العطاء مشكورٌ، والمَنْعُ مِن السَّيِّد والواسطة معذورٌ، إذ الشريعة تراعي الوسائط والأسباب. (الأنس، ص٣٥٥)

(٢) المُوَصِّلُ لا يصلح له أن يفْتَخِر بما وَصَّلَهُ مِمَّا أُمِرَ بتَوْصِيله لِمَن قُسِمَ له؛ لعِلْمِه أنّ ما وَصَّلَهُ ليس لهُ مِنْهُ شَيْءٌ، لكِن المُوَصَّلَ له يَشْكُر مَنْ وَصَلَ له شَيْءٌ على يدَيْهِ؛ قال ﷺ: «**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ**»[أبو داود (٤٨١١) والترمذي (١٩٥٤)]، هذا حُكْمُ الشَّريعة، وأمَّا الحقيقة فالشُّكرُ للمالِك لا للمُوَصِّل. (الأنس، ص٣٥٦)

(٣) مَنْ لا يمْلِكُ مِن الأمور شيئًا فمِن حَقِّه أن لا يُسَرَّ بما حصَلَ منها في يده؛ لعِلْمِه أنّ ما نزَلَ منها بيده لا يقْتَضِي مِلْكَهُ له، فإنْ سُرَّ بذلك كان سرُورُه بزائلٍ لا يَمْلِكه، ولذ استفهم الشيخُ ؒ مُتَعَجِّبًا مِنْ سُرورِه. (الأنس، ص٣٥٧)

فَصْلٌ
فِي إِظْهَارِ الفَقْرِ مَعَ وُجودِ الكِفَايَة

٥٦٥. **مِنْ عَيْبِهَا** إِظْهَارُهُ لِلْفَقْرِ ... مَعَ كِفَايَةٍ وَرِزْقٍ يَجْرِي[(١)]
٥٦٦. وَذَاكَ مِنْ طَمَعِهِ وَخِسَّتِهْ ... وَفَقْدِهِ يَقِينَهُ مَعْ هِمَّتِهْ[(٢)]
٥٦٧. **دَوَاؤُهُ** إِظْهَارُهُ ٱلْكِفَايَهْ ... مَعْ قِلَّةٍ وَصَبْرُهُ بِٱلْغَايَهْ
٥٦٨. فَٱبْنُ نُجَيْدٍ[(٣)] قَالَ فِي التَّصَوُّفِ ... قَوْلًا صَحِيحًا ظَاهِرَ التَّصَرُّفِ
٥٦٩. كَانَ ٱلَّذِي يَدْخُلُ فِي الطَّرِيقَهْ ... يَبْنِي عَلَى ٱلْحَقِّ مَعَ ٱلْحَقِيقَهْ
٥٧٠. فَيَفْتَقِرْ بَعْدَ ٱلْغِنَى وَيَسْتَتِرْ ... بِفَقْرِهِ فِي ٱلْحَالِ كَيْ لَا يَشْتَهِرْ[(٤)]

---

(١) وُجدان الكفاية في الرِّزْق وعدَمُ الزيادة عليهَا والنقصان منها مِن نِعَم اللهِ تعالى التامَّة الكامِلة، فإذا لم يقْنع العبْدُ بذلك، وأظهرَ الفقرَ، فهو دليلٌ على وجود العَيْبِ في نَفْسِه. (الأنس، ص٣٥٧) وقد قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَن سَأَلَ النَّاسَ أَموَالَهُم تكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسأَلُ جَمرًا، فَليَستَقِلَّ أَو لِيَستَكثِر**»[مسلم: ١٠٤١]. قال القرطبيُّ: أي اسْتِكثارًا منها مِنْ غَيْر حاجةٍ ولا ضرورةٍ. (المفهم، ج٣/ص٨٥) وقال القاضي عياض: وفي الحديث أن تكلُّف صَعْبَ المعيشةِ ومشقَّةَ الكَسْبِ خيرٌ له وأصْونُ لإراقة ماء وجههِ ورَوْنَق مُحَيَّاه. (إكمال المعلم، ج٣/ص٥٧٥)

(٢) خ: فِي حَالَتِهْ. قال **الخروبيُّ**: الطمَعُ في الخَلْقِ، وخِسَّةُ العقْلِ، وفَقْدُ اليَقين، معَ عدمِ الهِمَّة العَلِيَّة، كلُّ ذلك عيوبٌ في النفس قادحة فيها، وينشأ عنها مِن العيوب إظهارُ العَبْدِ الفَقْرَ، فيتحَلَّى بحِلْيَة الفقراء ليُعطى شيئًا لا يكون له بالغِنَى، وهذه حالةُ أهل الطمع الأخساء الذين لا يقين لهم ولا علو هِمَّةٍ. (الأنس، ص٣٥٨)

(٣) قال السلميُّ: سَمِعْتُ جدِّي ﷺ يقول: «**كانَ الناسُ يدْخُلون في التصَوُّف أَغْنِياءَ ويَفْتقِرُون ويُظْهِرُونَ الغِنى، وَفي هذا الوَقْتِ يدْخُلون في التصَوُّف فُقراءَ ويسْتَغْنُون ثُمَّ يظهرونَ للناسِ الفَقْرَ**». (عيوب النفس، ص٥٠)

(٤) كان الناسُ إذا دخل أحدهم في طريق التَّصوُّف يبْنِي أَمْرَه على قاعدتين: جريانِ الشَّرْع على ظاهره، والحقيقة في باطنه؛ فيجمع بينهما، وهذه طريق أولياء الله العظام العلماء الأعلام الذين سلكوا مسلك الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، واقتدوا بأصحابه الكرام، ومن تبعهم بإحسان. ومن أحوالهم أنهم كانوا يوثرون الفَقْرَ على الغنى، فافْتَقرُوا بعد غِناهم، وستَرُوا مع ذلك حالَهُم،

٥٧١. وَٱلْيَوْمَ صَارَ ٱلْحَالُ عَكْسَ ٱلْحَالِ إِذْ يُظْهِرُ ٱلْفَقْرَ كَثِيرُ ٱلْمَالِ[١]
٥٧٢. وَهَـذِهِ مُصِيبَـةٌ عَظِيمَـهْ قَبِيحَـةٌ رَذِيلَـةٌ ذَمِيمَـهْ
٥٧٣. قَدْ جَمَعَتْ مَعَ النِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ إِيثَارَهُ الدُّنْيَا وَحُبَّ الاَغْنِيَاءِ[٢]
٥٧٤. وَثُلُثَا الدِّينِ بِذَاكَ يَذْهَبُ[٣] إِذِ التَّزَيُّنُ عَلَيْهِ يَغْلِبُ[٤]

فتلَبَّسُوا بالحالة التي كانوا عليها في حالة الغنى كيْ لا يشتهروا بين الناس بحالة الفقر، وصيانة لأنفسهم من لباس ثياب الطمع القادح في حالهم المحط لهم عن درجة كمالهم. (الأنس، ص٣٥٩)

(١) لمَّا كَثُرَ الطمع، وقل الورع، وضعف اليقين، وسفلت الهِمَم، انْعَكسَ حالُ الناس، وصار الغنيُّ يُظْهِرُ الفَقْرَ والإفْلاسَ، ومن كان حاله هكذا فقد تمَذْهَب بسُوءِ المذاهبِ، وعرَّضَ نفْسَهُ لأعْظَم المصائِب. (الأنس، ص٣٥٩)

(٢) حالةُ النفاقِ ظاهرةٌ فيمن كان غَنِيًّا وأظْهرَ الفقرَ لأنه خالفَ ظاهرُهُ باطنَهُ، وهذه حالةُ المنافقين ووَصْفُهم. وأما كونُهُ مرائيًا فلإظهارهِ حالةً وحقيقتُهُ غيرُها. وأما إيثارُهُ الدنيا فلأنه طالبٌ لها راغبٌ فيها حتى أفرط في الطلبِ من غير وجهٍ يباحُ له الطلبُ عليه. وأمّا حبُّ الأغنياءِ فلأنه محتاجٌ إلى ما في أيديهم، وطامعٌ وراغبٌ فيه، فاحتياجُهُ إليهم صيَّرهُ مُحِبًّا لهم ومُعَظِّما. (الأنس، ص٣٦٠)

(٣) يشير إلى الخبر المروي عن ابن مسعود ﵁ أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِيٍّ لأجْلِ غِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ**». [البيهقي في الشعب: ٩٥٧٢]. قال القشيريُّ: إنما كان ذلك لأنّ المرء بقلبه ولسانه ونَفْسِه، فإذا تواضع لغنيٍّ بنفسه ولسانهِ ذهبَ ثلثا دينه، فلو اعتقَدَ فضْلَهُ بقلبِهِ كما تواضع له بلسانه ونفسِهِ ذهبَ دينُهُ كلُّهُ. (الرسالة، ص٥٧٧)

(٤) المُرائِي المُؤْثِرُ للدنيا المُحبُّ للأغنياء لابد له من التزيّن لأرباب الدنيا ومراءاة الأغنياء لينال منهم مقاصدَهُ ويُحَصِّل فوائدَه، ولم يلتفت إلى نقص دينِهِ ولا إلى ضعف يقينه؛ إذ حبُّ الشيء يعمي ويصم. (الأنس، ص٣٦٠)

فَصْلٌ

فِي رُؤْيَةِ الفَضْلِ عَلَى الأَقْرَان

٥٧٥. مِنْ **عَيْبِهَا** رُؤْيَتُهُ لِفَضْلِهِ عَلَى قَرِينٍ صَاحِبٍ مِنْ أَهْلِهِ[١]

٥٧٦. وَذَاكَ مِنْ جَهَالَةٍ بِٱلْأَصْلِ وَخِسَّةٍ لَاحِقَةٍ فِي الفَضْلِ[٢]

٥٧٧. **دَوَاؤُهُ** رُؤْيَتُهُ لِنَفْسِهِ بِذَنْبِهِ وَعَيْبِهِ وَلَبْسِهِ[٣]

٥٧٨. ثُمَّ شُهُودُ ٱلْفَضْلِ لِلْإِخْوَانِ بِمُوجِبَاتِ ظَاهِرِ ٱلْإِيمَانِ[٤]

٥٧٩. وَلَا يَصِحُّ ذَاكَ دُونَ نَظَرِهْ لِجُمْلَةِ ٱلْخَلْقِ بِمَا فِي خَبَرِهْ

٥٨٠. مِنْ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ أَبَدَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَالِحًا وَمَنْ عَدَا[٥]

٥٨١. فَمَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ فَضِيلَهْ فَهْوَ ٱلَّذِي بِنَفْسِهِ رَذِيلَهْ

---

(١) إذا كان العَبْدُ يرَى لنَفْسِه الفضْلَ على أقرانه، ويُزَكِّي نفْسَه بين إخوانه، فذاك دليلٌ على رضاء عن نفسه، وقد عُلِمَ ما في الرِّضى عن النفس من الأمور الذميمة، والأمْراض والعيوب العظيمة، التي تُورثُ القلْبَ عِلَّة، وتُحدث في الدين قلة. (الأنس، ص٣٦١)

(٢) أصْلُ استِعْظام العبْدِ لنَفْسِه، ورؤيته لفَضْلِه على غيره: جهالَتُه بأصْلِه، وما لَحِقَهُ مِن خسَّة العقل في فصله، ولو عَلِمَ أصْلَهُ وطلَبَ فَصْلَه لم يَرَ لنفسه فضْلًا، ولم يكن لأن يَنْسُب لها كمالًا أصْلًا، وكيف يرى الفَضْلَ لنَفْسِه مَنْ كان أوَّلُه نطفةً مذِرَة، وآخره جيفَةً قذِرَة، وهو بين هذين ظرْفٌ للعَذِرَة؟!. (الأنس، ص٣٦١)

(٣) إذا رأى العبد نفسه وما اقترفه من المعاصي والذنوب، وما تلبست به من كثرة العيوب؛ لمْ يَرَ لها فَضْلًا، ولمْ تكُنْ عنده للخير أهلا. (الأنس، ص٣٦٢)

(٤) فيرى لهم الفضلَ بذلك وفاءً بالحقوق التي أوجبها الإيمان، والحُرَم التي اقتضاها الإسلام. (الأنس، ص٣٦٢)

(٥) إذا حصَلَ العلمُ للعَبْد بأنّ جميع الخلق من المؤمنين - منْ كان منهم صالحا اهتدى، أو مُسِيئا تجاوز الحدود واعتدى - أفْضَلُ مِنْه، فبذلك يصحُّ له كمالُ شهود الفَضْل للإخوان، ويصح له الوفاء بحقوقِ أُخُوَّة الإيمان وروابط الإسلام، وهذا هو التواضعُ الحقيقيُّ الذي لا يخالطه كِبْرٌ. (الأنس، ص٣٦٣)

٥٨٢. وَمَنْ يَرَى ٱلْفَضْـلَ لِكُلِّ النَّاسِ   فَـذَاكَ عَبْـدٌ مَـا بِـهِ مِنْ بَـاسِ[١]
٥٨٣. وَنَحْوُ ذَا مَا قَالَهُ السِّـجْزِيُّ[٢]   ٱلْـعَـالِـمُ ٱلـمُـقَـدَّمُ الـزَّكِـيُّ
٥٨٤. مَا لَمْ تَرَى لِنَفْسِـكَ ٱلْفَضِـيلَهْ   فَلَكَ فَضْــلٌ[٣] وَٱعْكِسِ الرَّذِيلَهْ[٤]

(١) ونَظَرُه ذلك دليلٌ على اتِّضاعِه عنْدَ نفسهِ، وبراءَتِه مِنْ عَيْبِ نَفْسِه، وخرُوجِه عَنْ دائِرَةِ حسِّهِ. (الأنس، ص٣٦٣)

(٢) **أبو عبد الله السِّجْزي**: من كبار مشايخ خراسان. صحبَ أبا حفصٍ الحدادَ. من كلامهِ: «**العِبْرَةُ: أن تجعلَ كلَّ حاضِرٍ غائبًا. والفِكْرَةُ: أن تجعلَ كلَّ غائبٍ حاضِرًا**». وقولُه: «**كلُّ واعظٍ لا يقومُ الغنيُّ من مجلسهِ فقيرًا، والفقيرُ من مجلسهِ غنيا، فليس بواعظٍ**». (طبقات الصوفية للسلمي، ص٢٥٤)

(٣) قال السُّلميُّ: سمعتُ جَدِّي ـ يعني إسماعيل بن نُجَيْدٍ ـ يقول: سمعتُ أبا عبد الله السجزيَّ يقول: «**لَكَ الفَضْلُ ما لَمْ تَرَ فَضْلَكَ، فإذَا رَأَيْتَ فَضْلَكَ فَلَا فَضْلَ لكَ**». (عيوب النفس، ص٥١)

(٤) مرادُهُ بالعكسِ ثبوتُ رؤيةِ العبدِ الفضلَ لنَفْسِه دون غيرِهِ، فهذه رذيلةٌ، والفضيلةُ عدمُ رؤيةِ العبدِ الفَضْلَ لِنَفْسِهِ. (الأنس، ص٣٦٣)

فَصْلٌ

فِي اسْتِجْلَابِ الفَرَحِ بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالمَرَحِ(١)

٥٨٥. **مِنْ عَيْبِهَا** ٱسْتِجْلَابُهُ لِلْفَرَحِ ... بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ثُمَّ ٱلْمَرَحِ(٢)

٥٨٦. وَذَاكَ مِنْ جَهْلٍ بِحُكْمِ ٱلْوَقْتِ ... وَتَرْكِ خَوْفِ مُوجِبَاتِ ٱلْمَقْتِ

٥٨٧. **دَوَاؤُهُ** ٱلْعِلْمُ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَا ... يُحِبُّ مَنْ يَفْرَحْ وَمَنْ قَدْ شُغِلَا(٣)

٥٨٨. وَمِنْ صِفَاتِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارِ ... دَوَامُ حُزْنِهِ مَعَ ٱلْأَفْكَارِ(٤)

---

(١) وقد عتَبَ اللَّهُ على من اشتغل بذلك فقال: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، ونَفَى محبَّتَهُ تعالى عمن آثر الفرحَ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦]، والمرحُ: أن ترتعَ النفسُ في تيهِ اللهوِ وتسرح في ميدان اللعب، وهذا حالُ أهل القلوب المريضة والنفوس المعيبة، حاشا أهل اليقظة وذوي القلوب الزكية والأنفاس الرضية. (الأنس، ص٣٦٤)

(٢) المَرَحُ: أن ترتعَ النفسُ في تيه اللَّهْو وتسرح في ميدان اللعب، وهذا حال أهل القلوب المريضة والنفوس المعيبة. (الأنس، ص٣٦٤)

(٣) **الخروبيُّ**: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦] زاجرٌ شافٍ وترهيبٌ كافٍ عن إيثار العبدِ الفرحَ الذي هو عيبٌ من عيوب النفسِ، وكيف لا يكون عيبًا وهو موجبٌ لنفي محبَّةِ الله تعالى عمن جعله حالا من أحوالهِ وشُغلا من أشْغاله. (الأنس، ص٣٦٥) وقال في تفسيره لهذه الآية: الفرَحُ المنهيُّ عنه في هذه الآية هو الفرحُ المُطْغي الذي هو انهماكٌ وانحلال نفسٍ وأشَرٌ وإعجابٌ، وهذا وصفُ أهل الدنيا الذين خلت قلوبُهم من خشية الله ﷻ ولا التفاتَ لهمْ إلى الآخرة، وهو غير الفرحِ المحمود المراد بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]؛ إذ هذا صادرٌ عن هدى وذلك صادرٌ عن هوًى مذموم. (رياض الأزهار، ج٢/ق٨٢/أ)

(٤) يشير إلى قول هِنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ: كانَ ﷺ مُتَوَاصِلَ الأحْزانِ، دائِمَ الفِكْرَة، ليْسَتْ لهُ رَاحةٌ. [الترمذي في الشمائل: ٢١٥] قال القاري: متواصل الأحزان لِعِلْمِه بشدائد الأحوال وموارد الأهوال حالا ومآلا. (شرح الشفا، ج١/ص٣٢٤)

٥٨٩. وَفِي ٱلْحَدِيثِ قدْ أَتَى عَنْ رَبِّنَا   بِـأَنَّـهُ يُـحِـبُّ قَـلْـبًـا حَـزِنَـا[1]
٥٦٠. قَالَ ٱبْنُ دِينَارِ اللَّبِيبُ مَالِكْ   كَـلِـمَـةً نَـافِـعَـةً لِـلسَّـــالِـكْ
٥٦١. إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَلْبِ حُزْنٌ خَرِبَا   مِثْـلُ خَرَابِ ٱلْبَيْـتِ مَهْمَـا خَرِبَـا[2]

---

(١) يشير إلى ما رواه الحاكم مِن أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ هَذَا يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ**». [المستدرك: ٧٨٨٤]. ومعنى حَزِينٍ: أيْ مِن ذُنُوبِه، مُنْكَسِرٍ لبُعْدِه عنْ طاعَةِ مَوْلاهُ، لا حزين على فَقْدِ الدُّنْيا وما فات مِن لذَّاتِها، فهذا قلبٌ مَبْغُوضٌ لا مَحْبُوبٌ.

(٢) يشير إلى قول مالك بن دينار: «**القَلْبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُزْنٌ خَرِبَ، كَمَا أَنَّ الْبَيْتَ إِذَا لَمْ يُسْكَنْ خَرِبَ**». (رواه أحمد في الزهد: ١٨٧٠ ـ والبيهقي في الزهد: ٢٥٨ وقال: يريدُ: حُزْنَ الآخِرَة).

فَصْلُ
فِي رُؤْيَةِ العَبْدِ لِصَبْرِهِ مَعَ أَنَّهُ فِي مَحَلِّ الشُّكْرِ

٥٦٢. **مِنْ عَيْبِهَا** رُؤْيَتُهُ لِصَبْرِهِ ... مَعْ أَنَّهُ فِي مُوجِبَاتِ شُكْرِهِ
٥٦٣. وَذَاكَ مِنْ غَلَطِهِ(١) فِي نَفْسِهِ ... وَعَدَمِ ٱسْتِحْذَارِهِ مِنْ لَبْسِهِ
٥٦٤. **دَوَاؤُهُ** رُؤْيَتُهُ لِلرَّحْمَهْ ... فِي كُلِّ حَالِ نِعْمَةٍ وَنِقْمَهْ(٢)
٥٦٥. إِذْ لُطْفُهُ مُلَازِمٌ لِلْقَدَرِ ... كَمَا أَتَى عَنْ رَبِّنَا فِي ٱلْخَبَرِ
٥٦٦. وَأَنَّهُ لَا يُقْضِ لِلْعَبْدِ قَضَا ... إِلَّا وَفِيهِ خَيْرُهُ كَمَا مَضَى(٣)
٥٦٧. قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: كُلُّ ٱلْخَلْقِ ... مَعَ ٱلْإِلَهِ فِي مَقَامِ الصِّدْقِ
٥٦٨. أَعْنِي بِهِ الصِّدْقَ بِحَالِ الشُّكْرِ ... وَهُمْ يَظُنُّوهُ مَقَامَ الصَّبْرِ(٤)

---

(١) خ: غِلَظِه.

(٢) إنَّ العَبْد إذا رأى ما يَصِلُ إليه مِن أَثَرِ رَحْمَةِ مولاه في حال النِّعمة والنقمة، على أن ما يُنزله به مولاه ﷻ فهِي نِعَمٌ في طيِّ نِقَم، ومِنَحٌ في طيِّ المِحَن، فيَجْعَلُ في مكانِ صَبْرِه شُكْرًا، وإنْ صَبَر فصَبْرُه نِعْمَةٌ أخْرَى تُوجِبُ للمَوْلَى عليهِ شُكْرًا؛ فلَا يَرَى لِنَفسِهِ صَبْرًا؛ إذ هُوَ مِن النِّعَم التي يَقْتَضِي المَوْلَى منه علَيْهِ شُكْرًا، فافْهَمْ ما أَقُولُه، وحَقِّق مُضَمَّنَه ومَحصُولَهَ. (الأنس، ص٣٦٧)

(٣) يشير إلى قوله ﷺ: «**مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حُزْنٍ، حَتَّى الشَّوْكَةَ تَشُوكُهُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ**». (البخاري: ٥٦٤١ ـ ومسلم: ٢٥٧٣) قال الشيخ زرُّوق: الوَصَبُ: المَرَضُ. والحُزْنُ: هُوَ الهَمُّ لِفَقْدِ مَا يَشقُّ على المَرْءِ فَقْدُهُ. (تعليق على البخاري، ج٩/ص٢١١) وقال أيضا ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ بِشَوْكَةٍ، فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**». (مسلم: ٢٥٧٢)

(٤) قال أبو عثمان الحيري (٢٩٨هـ): «**الخَلْقُ كلُّهمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَقَامِ الشُّكْرِ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مَعَهُ فِي مَقَامِ الصَّبْرِ**». قال الخَرُّوبي: يريدُ ـ واللهُ سبحانه أعلم ـ أن كُلّ ما ينزله الله تعالى بهم من نعمة أو نقمةٍ فهي رحمةٌ منه تعالى بهم، ملطوفٌ بهم في الحالتين؛ لأنه تعالى أراد أن يتعرَّفَ إليهم في السراء والضراء، ففي السراء ليدخلهم عليه من باب الشكر، وفي الضراء ليدخلهم عليه من باب الصبر، وفي ذلك رحمةٌ لهم ونعمة عليهم، فهم في ذلك كلِّهِ على كل حالٍ بحالِ الشكر، فيظنون أنهم في إحدى الحالتين أنهم بحال الصبر. (الأنس، ص٣٦٨)

فَصْلٌ

فِي الأَخْذِ بِالرُّخَصِ وَالأَقْوَالِ الشَّاذَّةِ وَالتَّأْوِيلَاتِ الضَّعِيفَةِ[1]

٥٦٩. **مِنْ عَيْبِهَا** التَّرْخِيصُ وَالتَّأْوِيلُ ... وَتَرْكُ مَا يَهْدِي لَهُ الدَّلِيلُ[2]

٥٧٠. وَذَاكَ مِنْ مُجَازَفَاتِ[3] ٱلْحَقِّ ... وَعَدَمِ ٱلحَزْمِ بِحَالِ الصِّدْقِ

٥٧١. **دَوَاؤُهُ** فِي ذَا بِالٱنْتِبَاهِ ... وَتَرْكِ كُلِّ مُوجِبِ ٱشْتِبَاهِ

٥٧٢. لِمَا أَتَى فِيهِ مِنَ التَّحْذِيرِ ... وَأَخْذِهِ بِأَوْثَقِ ٱلْأُمُورِ

٥٧٣. إِذْ ذَاكَ مِنْ شَهْوَتِهِ وَلَعِبِهْ ... وَنَقْصِهِ فِي حَالِهِ وَمَذْهَبِهْ

---

(١) **زَرُّوق** رَحِمَهُ اللَّهُ: كلُّ رُخْصَةٍ أَجْمَعَ المُسلِمُون أو جمهورُهم على استحباب العمَلِ بها، أو قال بذلك فيها إمامُ المريد في دِيانَتِه، فهي نورٌ. (عدة المريد الصادق، ص ٢١٦) ثم قال: إنما الرُّخصة المذمومة عند القوم الرُّخْصَة المكروهة: كتَرْك مُعتادِ الفضائل، والاسترسال في العادِيَّات، أو التَّوَسُّع في المباحات، أو الرجوع في المندوبات، أو الدخول في جَلِيِّ الخلافات لا لضرورة فادحة، فإنّ توَقِّيَ الشبهات لازمٌ لكلّ مؤمنٍ، فَضْلًا عنِ المريدين، لكن شُبْهَةُ الخلاف قلّ أن ترتفعَ عن مسألة في الفروع لقِلَّةِ مسائل الإجماع، لكن ما قويتَ شُبْهَتُه، أو كان الاحتياطُ يساعده، لزِمَتْ مُراعَاتُه، وإلا فلا حرَجَ في الدين، والخروج من الخلاف مستحبٌّ اتفاقًا حسب الإمكان، واختلاف العلماء رحمة. (عدة المريد، ص ٢١٨)

(٢) هذا بالنظر إلى عامَّة المؤمنين، وهو في حق خواصِّهم أَقْبَحُ مِن قَبِيحٍ؛ إذ لا يُسْمَحُ للخاصَّة في الأَخْذِ في جميع أُمُورِهم العادِيَّة والعِبادِيَّة بالرُّخَصِ والتّأويلِ الذي يُوجِبُ نَقْصًا في كمالِ العِباداتِ، وانْحِطاطًا عَنِ الهِمَّة العَلِيَّة فيما يتعاطاهُ مِن العاداتِ، وليسَ هذا من شأن السّالِكين، ولا مِنْ أحْوالِ المُريدين، ولا مِنْ صِفات خواصِّ المُؤْمِنين. (الأنس، ص٣٦٩)

(٣) خ: مُحَارَبَاتِ.

فَصْلٌ

فِي عَدَمِ نَظَرِ العَبْدِ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنَ العَثْرَةِ وَالزَّلَّةِ

٥٧٤. **مِنْ عَيْبِهَا** إِغْضَاؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ ... فِي عَثْرَةٍ أَوْ زَلَّةٍ لِأُنْسِهِ

٥٧٥. بِرَاحَةٍ فِي تَرْكِهِ لِعَتْبِهَا ... وَذِلَّةٍ عِنْدَ شُعُورِ عَيْبِهَا

٥٧٦. وَذَاكَ أَصْلُهُ الرِّضَا عَنْ نَفْسِهِ ... فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ وَأَمْسِهِ(١)

٥٧٧. **دَوَاؤُهُ** تَدَارُكُ الزَّلَّاتِ ... بِتَوْبَةٍ لِجُمْلَةِ ٱلْعَثْرَاتِ(٢)

٥٧٨. قَالَ أَبُو عُثْمَانَ لِلْمُرِيدِينْ ... بَلِيَّةٌ تَرُدُّهُمْ مَرِيدِينْ

٥٧٩. إِغْضَاؤُهُمْ عَنْ عَثَرَاتٍ تَقَعُ ... وَتَرْكُهُمْ دَوَاءَ ذَاكَ أَقْطَعُ(٣)

---

(١) إذا كان العبدُ راضِيًا عن نَفْسِه في كُلِّ الأوقات، ولم يعاتبها على ما يصدر منها من مخالفات وتجترِحُه من السيئات، نشأَ عَنْ ذلك إغْضَاؤه عنْ عُيوبِها، وتَرْكُ مُناقشتها عمّا يصدر منها من ذنوبها. (الأنس، ص٣٧١)

(٢) جعل الله التوبة النصوح مَرْهمًا لجراحات الذنوب، ودواءً صارفا لجميع العيوب، ومُكَفِّرة للزلات، وسببا للإقالة من العثرات؛ ولذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[التحريم: ٨]، وقال ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾[النور: ٣١]، وقال ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ عَلَيْهِ**». فواجِبٌ على كُلِّ عَبْدٍ التوبَةُ مِن ذَنْبِه على الفَوْر؛ إذْ بتأخيرها يتَضاعفُ الذَّنْبُ ويَعْظُم العَيْبُ. (الأنس، ص٣٧٢)

(٣) قال أبو عثمان: «**بَلَاءُ عامَّة المُريدِين مِنْ إغْضائِهم عَلَى عَثْرةٍ تقَعُ لَهُمْ أَوْ هَفْوةٍ وتَرْكُ مُداوَاتِهَا فِي الوَقْتِ بِدَوَائِهَا حَتَّى تَعْتادَ النَّفْسُ ذلكَ فَتَسْقُطُ عَنْ دَرَجَةِ الإِرَادَةِ**». (عيوب النفس للسلمي، ص٥٣ ـ والبيهقي عنه في الزهد، ص١٥٤) قال الخروبيُّ: والمراد أن المُريدين لا يَحْسُن منهم الإغضاءُ عن العثرات والإقامَةُ على الزّلات التي تقَعُ منهم، ولا يَحْسُن منهم تَرْكُ التّوبة منها؛ إذْ حالُهم لا يقتضي ذلك؛ ووقوع الذنب منهم عظيمٌ، حتى إذا وقع منهم ذنبٌ أو ظهر لهم في أنفسهم عيْبٌ أسْرَعُوا إلى التوبة من الذنب، وإلى مداواة العَيْب؛ وإن تركوا استعمال الدواء كان الداءُ أَقْطَعَ، والزيادةُ في العَيْب أسْرَع؛ لأن الذنب والعَيْبَ تُسْرِعُ إليهما النفوسُ، ويحصل من الإقامة عليها الضّرُّ والبُؤْس. (الأنس، ص٣٧٢)

٥٨٠. لِأَنَّـهُ تَـعْـتَـادُهُ الـنُّـفُـوسُ فَيَحْصُـــــلُ الضُّـــرُّ بِـهِ وَالبُوسُ

فَصْلٌ

فِي الاغْتِرَارِ بِخَوَارِقِ العَادَاتِ وَالمَنَامَاتِ

٥٨١. مِنْ عَيْبِهَا ٱغْتِرَارُهُ بِٱلْخَارِقِ[١] وَبِمَنَامِهِ ٱلْمُصِيبِ الصَّادِقِ[٢]
٥٨٢. وَذَا غُرُورٌ مَا لَهُ حَقِيقَهْ إِهْمَالُهُ مِنْ أَدَبِ الطَّرِيقَهْ
٥٨٣. فَمَنْ يَكُنْ يَعْتَمِدُ ٱلْكَرَامَهْ فَعَنْ قَرِيبٍ تَعْرُهُ النَّدَامَهْ
٥٨٤. وَمَنْ يَكُنْ يَغْتَرُّ بِٱلْمَنَامَاتْ فَهْوَ ٱلَّذِي تَفُوتُهُ ٱلْمَقَامَاتْ
٥٨٥. دَوَاؤُهُ فِي ذَلِكَ ٱلْإِعْرَاضُ وَتَرْكُ مَا تَدْعُو لَهُ ٱلْأَغْرَاضُ
٥٨٦. وَخَوْفُهُ مِنْ كَوْنِهِ ٱسْتِدْرَاجَا يُكْسِبُهُ وُجُودُهُ ٱعْوِجَاجَا
٥٨٧. قَالَ ٱلْجُنَيْدُ ٱلْعَالِمُ الزَّكِيُّ أَلْطَفُ مَا يُخْدَعْ بِهِ ٱلْوَلِيُّ
٥٨٨. كَرَامَةٌ وَمِثْلُهَا مَعُونَهْ إِذْ قَدْ يَرَى بِكُلِّهَا شُؤُونَهْ[٣]

---

(١) عبَّر السُّلَمِيُّ عن الخارقِ بالكَرامَاتِ، وقال: «ومُداواتها أن تَعْلَم أنَّ أكثرها اغْتِراراتٌ واسْتِدْراجٌ، والله تعالى يقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[القلم: ٤٤]. (عيوب النفس، ص٥٣) وأمّا الشيخُ الخروبي فشرحَ على أنها «الخالِقِ»، وهذا يدلُّ على أنه لم يقف على فصول السُّلميُّ، وقال: لا ينبغي للعبد الاغترارُ بما وصفَ به الخالِقُ نفسَهُ من واسعِ الغفران، ولا بمعنى ما دلَّ عليه اسم الرحمن، مع أن الله تعالى ما وصف نفسه بجمال إلا قرنه بجلال كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]. (الأنس، ص٣٧٣)

(٢) إذ قد يرى في منامه ما يدلُّ على قُرْبِه وهو بعيدٌ ناءٍ، والاغترارُ بذلك حالُ الحَمْقَى الذين لا حظَّ لهم مِن التُّقَى، والرؤيا الصالحةُ تسرُّ ولا تغرُّ، ولا تنفع ولا تضرُّ، وتأمل ما قال رسول الله ﷺ حين حُدِّثَ بما رأى عبد الله بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما في منامه الرؤيا المشهورة فقال ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ**». [البخاري: ١١٢٢ ـ ومسلم: ٢٤٧٩]، فدلَّهُ ﷺ على العملِ وحضَّهُ عليه، ولم يَكِلْهُ إلى رُؤياهُ الصّالِحَة. (الأنس، ص٣٧٤)

(٣) قال السلميُّ: وقد قال بعض السلف: «أَلْطَفُ مَا يُخَادَعُ به الأولياءُ الكراماتُ والمَعُونَاتُ». (عيوب النفس، ص٥٣) قال الخروبيُّ: المراد بالمعونة الرؤيا الصالحة، وإنما كانت هذه خدعة لطيفة لأنه قد يرى أن الكرامة من استقامة أعماله، والرؤيا مِن حُسن أحواله، فإن ركنَ إلى الكرامة

فَصْلٌ

فِي إِيثَارِ حُبِّ الأَغْنِيَاءِ وَالمَيْلِ إِلَى أَهْلِ الدُنْيَا

٥٨٩. **مِنْ عَيْبِهَا** إِيثَارُهُ لِلأَغْنِيَا ... وَحُبُّهُمْ دُونَ الثِّقَاتِ ٱلْأَتْقِيَا

٥٩٠. وَذَاكَ مِنْ حُبِّ ٱلَّذِي عِنْدَهُمُ ... وَهْوَ لِذَا بِطَمَعٍ يُتَّهَمُ

٥٩١. وَيَحْظَ بِالذُّلِّ وَكُلِّ مَنْقَصَهْ ... وَلَمْ تَزَلْ عِيشَتُهُ مُنَغَّصَهْ

٥٩٢. **دَوَاؤُهُ** جُلُوسُهُ لِلْفُقَرَا(١) ... وَتَرْكُهُ لِذِكْرِ شَأْنِ ٱلْأُمَرَا(٢)

٥٩٣. وَعِلْمُهُ بِأَنَّ حُبَّ ٱلْأَغْنِيَا ... مِنْ طَمَعٍ فِي نَفْسِهِ قَدْ خَفِيَا

أو اعتبر ما يراه في نومِهِ وقفَ عند ذلك، فكانت الكرامة والرؤيا خدعةً انخدع بها، والواجبُ على الوليِّ أن لا يركنَ إلى ما يبدو له من الكرامات ولا أن يعتمِدَ على رؤياه الصالحة لأن مراده أمام، وقصده إلى ما لا نهاية له ولا تمام. (الأنس، ص٣٧٦)

(١) قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] قال الشيخ الخروبيُّ: ما تضمنته الآية من الأمْر والنهي يتناول غيره ﷺ من أمّته، فليصبر العبدُ نفسَهُ مع فقراء المسلمين، معظِّما لقَدْرِهم، جابِرًا لكَسْرِهم، مُقبِلًا عليهم، ولا تَعْدُ عيناهُ عنهم مُحتَقِرًا لهم، مائِلًا بقَلْبِه إلى الأغنياء، مريداً لزينة الحياةِ الدنيا. وقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ الآية المرادُ بمن أغفلنا قلْبَه كفارُ قريشٍ، أو عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ وأصحابه الذين أرادوا منه ﷺ إبعادَ فقراء المسلمين عنه، فنَهَى اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ عن أن يطيعهم فيما أرادوا منه، ثم لفظ الآيةِ يتناول بعدُ كلَّ من اتصف بهذه الصفةِ التي هي غفلةُ القلب عن ذكر الله فلا يطاعُ، ويتناول النهيُ غيرهُ ﷺ من أمَّته، فالعبدُ لا يطيعُ غافلا عن ذكر اللهِ لأنّ الغفلةَ عن الله وَصْفُ المُبَعدين عنه تعالى، وكيف يطاعُ من كان غافلا عن الله مُبْعِداً عن اللهِ غافِلًا عن ذِكْرِه؟! ففي طاعته الخسران، وفي القُرْب منه العتاب. (رياض الأزهار، ج٢/ق٣١٤/ب)

(٢) لأنَّ مَن تركَ ذكر شيء دلَّ تركُهُ لذِكْره على عدمِ حبِّهِ له، فتركُ ذِكْرِ شأنِ الأُمَراء دليلٌ على عدَم حبِّه لهم، وحُكْمُ الأغنياء كحُكْمِ الأمراءِ بجامع وَصْفِ الغِنَى. (الأنس، ص٣٨٠)

٥٩٤. وَحُبِّ دُنْيَا مَا لَهَا مِنْ حَاصِلْ إِذِ انَّ مَحْبُوبَ ٱلْحَبِيبِ فَاضِلْ(١)
٥٩٥. وَلَنْ يَزِيدَ ٱلْحِرْصُ فِي ٱلْمَقْدُورِ بِٱلْمَيْلِ لِلْخَلْقِ سِوَى ٱلْغُرُورِ(٢)
٥٩٦. وَٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُخْتَارُ قَدْ تَخَيَّرَا لِنَفْسِهِ ٱلْجُلُوسَ حَوْلَ ٱلْفُقَرَا(٣)
٥٩٧. وَقَالَ أَيْضًا بِهِمُ أُمِرْتُ(٤) وَفِي جُلُوسِ غَيْرِهِمْ عُتِبْتُ
٥٩٨. مَحْيَاهُمُ ٱلْمَحْيَى كَذَا ٱلْمَمَاتُ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ ثَبَاتُ
٥٩٩. وَقَدْ دَعَا أَنْ يُحْيِهِ مِسْكِينَا(٥) فَكَانَ فَضْلًا وَاضِحًا مُبِينَا
٦٠٠. أَوْصَى عَلِيَّ ٱلْمُرْتَضَى بِحُبِّهِمْ(٦) وَكَمْ أَتَى فِي فَضْلِهِمْ وَقُرْبِهِمْ

---

(١) منَ أحبَّ شيئا أحبَّ مَا يُحِبُّه وكان عنده فاضِلًا لا مَفْضُولًا، وهذا معنى قول الشيخ: «إنَّ محبوب الحَبِيبِ فَاضِل». (الأنس، ص٣٨٠)

(٢) حبُّ العبد للأغنياء وإيثارهُ لهم على الفقراء دليلٌ على طمعه فيما في أيديهم من متاع الدنيا، والطامع حريصٌ، والحرصُ لا يزيدُ فيما قدَّره اللهُ تعالى في أرزاق العباد؛ إذ الرزق مقدَّرٌ مقسومٌ، والأجلُ معلومٌ، فلا يزيدُ الحرصُ لصاحبه إلا الغرور لأنه يغترُّ بسبب حرصه على نيل ما لم يقدَّر له، وذلك غير ممكن وقوعُهُ. (الأنس، ص٣٨٠)

(٣) إنما تخيَّر المصطفى ﷺ لنفسه جلوسه للفقراء لأنّ ذاك مختار اللهِ وبذلك أَمَرَهُ ربُّهُ، فاختارَ ﷺ لنفسه ما اختارهُ ربُّهُ له وأمره به. (الأنس، ص٣٨١)

(٤) لما نزلَتْ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨] قال رسول الله ﷺ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَصْبِرُ نَفْسِي مَعَهُ**». (جامع البيان للطبري، ج١٥/ص٢٤٠)

(٥) يشير إلى قوله ﷺ في دعائه: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ**». [الترمذي: ٢٣٥٢ ـ وابن ماجه: ٤١٢٦] قال الطيبي: «أراد ﷺ بذلك إظهار تواضعه وافتقاره إلى ربه إرشاداً لأُمَّتِه إلى استِشْعَار التَّواضُع والاحْتِراز عن الكِبْرِ والنَّخْوَة، وأراد بذلك التنبيهَ على عُلُوِّ درجاتِ المساكينِ وقُرْبِهم مِنَ اللهِ تعالى». (شرح المشكاة، ج١٠/ص٣٣١٤)

(٦) في مسند الإمام أحمد (٢١٤١٥) بسند صحيح عن أبي ذَرٍّ ﵁ قال: أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بسبعٍ: «**أَمَرَنِي بِحُبِّ المَسَاكِينِ والدُّنُوِّ مِنْهُم**» إلى آخره.

خَاتِمَةٌ

٦٠١. وَهَاهُنَا قَدِ ٱنْتَهَى هَذَا الرَّجَزْ وَتَمَّ مَعْنًى وَنِظَامًا وَنَجَزْ
٦٠٢. فَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَا ثُمَّ لَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا تَمَّمَا
٦٠٣. مِنْ رَجَزِ المُهِمِّ مِنْ عُيُوبِ(١) وَمِنْ بَيَانِ اللَّازِمِ ٱلْمَطْلُوبِ
٦٠٤. ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى خَيْرِ ٱلْوَرَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَدَّ ٱلثَّرَى
٦٠٥. وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ أَبَدَا وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طُولِ ٱلْمَدَا
٦٠٦. عَامَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ نَجَزْ بَعْدَ ثَمَانِ مِئَةٍ هَذَا الرَّجَزْ
٦٠٧. فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ لَدَى الظَّهِيرهْ نِصَفَ جَمَادَى وَهِيَ الأَخِيرَهْ
٦٠٨. فِي نَحْوِ سِتَّةٍ مِنَ المِئِينَا قَدْ كَمُلَتْ أَبْيَاتُهُ تَعْيِينَا
٦٠٩. وَٱللَّهَ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ نَافِعَا لِكُلِّ خَيْرٍ وَكَمَالٍ جَامِعَا
٦١٠. مُسْتَغْفِرًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَزَلَلْ وَرَاغِبًا مِنْ رَبِّنَا حُسْنَ ٱلْعَمَلْ
٦١١. فَإِنَّهُ ذُو ٱلْجُودِ وَٱلْإِكْرَامِ وَٱلْفَضْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَٱلْإِنْعَامِ

(١) خ: مِنْ رَجَزِ الفُصُولِ وَالعُيُوبِ.

فهرس

دار الإمام ابن عرفة

تونس